الببليوبيجيا الأنثروبوديرميكية، أو، تجليد الكتب باستخدام جلود البشر: دراسة تاريخية

اعداد
د. حامد معروف الزيات
مدرس المكتبات والمعلومات
كلية الآداب- جامعة بنها
Hamed.alzyat@fart.bu.edu.eg

مستخلص:

دراسة تَسْبُرُ غوْر تاريخ الكتب مقتفية أثر ممارسة تجليدها باستخدام جلود البشر، تلك الممارسة التى ظهرت فعلياً منذ القرن السادس عشر، وبلغت ذُروتها فى القرن التاسع عشر، واختفت مع بدايات القرن العشرين، وتنوعت دوافع ظهورها بين عقوبات بحق المجرمين المذنبين، وتحقيقا لرغبة البعض فى الحيلولة دون تحلل جلودهم بعد الممات، وكذا المهمشين والفقراء، إضافة إلى الأحكام القضائية كمصدر للحصول على الجلود البشرية. واعتُمدت عملية استخلاص جلود البشر على مشارح كليات الطب، ودُبغت فى أماكن معلومة حينها مثل: مدينة "ميدون" الفرنسية، وبواسطة مُجلدين مثل: "جون ستوكتون هوج" و"رابارلييه" الذى جلد كتاب "رقصة الموت". كما أسهم الأطباء فى تنفيذ تلك الممارسة بأيديهم!، أما جامعوا الكتب فحافظوا عليها من الاندثار؛ لتظهر فى العصر الحديث مُحدثة ضجيجًا فى المكتبات العتيقة التى انتفضت نحو التنقيب عن تلك الأغلفة البشرية بين مجموعاتها باستخدام تقنيات متطورة أحدثها "تحليل مطياف الكتلة"، وبالتعاون مع بعض العلماء البارزين مثل: "دانيال كيربى". لقد أشارت الدراسة إلى بعض الأشخاص الذين استُخدمت جلودهم فى تجليد كتبٍ تَروى سِيَرهم، مثل: "جون هوروود"، و"ويليام بيرك"، وغيرهما، فى ظل غياب تام لكل ما هو ديني وأخلاقى وقانوني، سواء من جانب المحاكم أو الأطباء. وعلى الرغم من المزاعم التى أحاطت بممارسة تجليد الكتب بجلود البشر بشكل عام، وثبت صحة بعضها، إلا أن البعض الآخر لم يثبت بعد، على غرار الادعاء بوجود نسخة من "القرآن الكريم" مجلدة بجلد شيخ عربى يدعى "بشير بن سالم الحارثي"، وتقبع فى مكتبة كليفيلاند العامة. على أية حال تنوعت أماكن وجود الكتب المجلدة باستخدام الجلد البشري على مستوى العالم كما تنوعت اتجاهاتها العددية والنوعية، ففيما يتعلق بالاتجاهات اللغوية، جاءت "اللغة الإنجليزية" فى المرتبة الأولى من بين اللغات التى نُشرت بها بنسبة ٤١%. أما الاتجاهات الموضوعية فجاء فيها "الطب" أولاً بنسبة ٤٥,٥%. وأخيراً الاتجاهات الزمنية واحتل فيه "القرن التاسع عشر الميلادى" المرتبة الأولى بنسبة ٥٩,١%، من إجمالى عدد الكتب المجلدة باستخدام جلد البشر، التى ضمتها قائمة ببليوجرافية ذيلت الدراسة، وشملت اثنتي وعشرين كتاباً.

الكلمات المفتاحية:

الببليوبيجيا الأنثروبوديرميكية- الببليوبيجيا- تجليد الكتب بجلود البشر- تجليد الكتب- مواد تجليد الكتب- جلود البشر- الببليوجرافيا التاريخية

أولاً: المقدمة المنهجية:

تمهيد:

أسهمت جهود المتخصصين فى مجال النشر وحلقاته فى تطوير وتحسين مواد الطباعة وأدواتها إسهامًا محمودا، إذ شهد العصر الحديث طفرة هائلة فى تقنيات النشر، تلك الطفرة التى لم تزل تُجْنَى ثمارها فى تاريخنا المعاصر، وجاء تطوير مرحلة التجليد والمواد المستخدمة فيها على رأس أولويات القائمين على صناعة النشر، تلك المرحلة التى يلتصق فيها الكتاب المطبوع بغلافه الذى لا يفارقه إلا فى حالات معلومة، هذا التلاصق الذى أوجب بالضرورة أن تكون مواد التجليد بمثابة درع واقية للكتاب؛ ومن

تاريخ استلام البحث : ٢٧ فبراير ٢٠١٨ ، تاريخ القبول : ١٨ ابريل ٢٠١٨

ثم تطورت تلك المواد فى العصر الحديث بانتقالها من استخدام الجلود والأقمشة وغيرها من المواد المُكلِفة، إلى موادٍ أقل تكلفة ومرونة مثل الورق المقوى والبلاستيك، وغيرها.

وقديما تنوعت مواد التجليد التى استُخدمت فى تَكسِيَةِ الكتب عبر عصور المعرفة البشرية منذ اختراع الطباعة، فالناظر إلى عملية التجليد آنذاك سيجد أنها اعتمدت فى الأساس على الجلود؛ نظراً لمتانتها وقابليتها للتذهيب والبصم فى عصورٍ كَثُر فيها تذهيب الكتب وبَصمِها لأسباب شتى، هذا بالإضافة إلى حُسن مظهرها، وتحملها تبعات كثرة الاستخدام، كما استُخدمت أيضا أنواعًا فاخرة من الجلود وكانت بمثابة تَرَفٍ فى التجليد مثل: جلود الخيول والثعابين والتماسيح والحمير الوحشية، إضافة إلى جلود الغزلان وغيرها، إلا أن الكثير من مواد التجليد الأخرى ظهرت واستُخدمت بكثرة وساهمت فى إقصاء الجلود بنسبة كبيرة كان أبرزها القماش الذى وائَم الكتب صغيرة الحجم؛ لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه، وعلى الرغم من ذلك ظلت الجلود هى المادة الأساسية فى تجليد الكتب السميكة والكتب المرجعية حتى وقت قريب(١).

ظاهرة الدراسة:

لم يكن الترف وحده سببا فى استخدام بعض المواد الثمينة فى تجليد الكتب، بل استخدمت مادة أخرى لا تمت للترف بِصِلَة؛ إنها "جلد البشر!"، تلك المادة التى وصفت فى الأدبيات القليلة التى تناولتها بأنها مُفزعة فى أقل تقدير لمن قرأ عنها، لا لمن قام بممارستها فعلياً منذ القرن السادس عشر. تقول كيفين جريس Kevin Grace أمين أرشيف الكتب النادرة بجامعة "سينسناتى" Cincinnati بولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية(٢)

"إن التجليد باستخدام جلود البشر، هو المسمى اللطيف للأمر، الذى كان أكثر بشاعة مما يتخيله أحد، فقد يتسائل البعض كيف ستبدو سيرة حياة كل منا إذا تحولت إلى كتاب؟ لكن قليلًا منا يتساءل كيف سيبدو الأمر إذا تحولت جلودهم بالفعل إلى أغلفة كتب؟!".

ويُعد استخدام جلود البشر فى تجليد الكتب واحدة من المواد الأكثر غرابة ونُدرة عبر تاريخ التجليد، تلك الجلود التى استخدمت منذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، فمع بداية القرن الحادى والعشرين أعلنت بعض المكتبات الأمريكية، وغيرها عن حيازتها لمثل تلك الكتب ذوات الأغلفة والمحتويات الغريبة بين مجموعاتها مثل: مكتبة "هوتون" Houghton بجامعة هارفارد Harvard، وكذلك فى بعض المتاحف مثل مُتحف "ماتر" Matter بولاية فلاديلفيا Philadelphia، هذا المتحف الذى يشتمل على الكثير من المقتنيات الغريبة والبشعة، ومن بينها الكتب المُجلدة بجلود البشر(٣).

تساؤلات الدراسة:

١. ماذا يُقصد بمصطلح "البيليوبيجيا الأنثروبوديرميكية"؟
٢. ما السياقات الدينية والثقافية والقانونية والدينية التى صاحبت ظهور ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري؟

---

(١) شعبان عبد العزيز خليفة. البيليوجرافيا، أو، علم الكتاب: دراسة فى أصول النظرية البيليوجرافية وتطبيقاتها، النظرية الخاصة.- ط١.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص ص ٧٠١- ٧٠٥.

(2) Goldschmidt, Ben. Rare Books Library Home to Skin-Bound Book. Available at: <http://www.newsrecord.org/for_the_record/rarebookslibraryhometoskinboundbook/article_5591898a3be411e3a399001a4bcf6878.html>. Cited in <13-5-2017>.

(3) Necronomicon Ex- Mortis: Real Books Bounded In Human Skin, But Probably Not Inked With Human Blood. Available at: <http://www.cvltnation.com/necronomiconexmortisrealbooksboundhumanskinprobablynotinkedhumanblood>. Cited in: <13-5-2017>.

٣. متى بدأت ممارسة التجليد بجلد البشر؟ ومتى توقفت؟
٤. أين ظهر استخدام جلود البشر فى تجليد الكتب؟ ومتى اكُتشف فعليًا فى العصر الحديث؟
٥. ما دوافع استخدام جلود البشر فى تجليد الكتب؟
٦. ما طرق الحصول على الجلد البشري المستخدم فى تجليد الكتب؟
٧. هل كان يتم دباغة الجلد البشري؟ ومن هم الدابغون؟ وأين كان يتم الدبغ؟
٨. ما الدور الذى قام به كل من الأطباء وهواة جمع الكتب فى ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري؟
٩. ما الجهود المبذولة فى التحقق من وجود الكتب المجلدة بجلد البشر على مستوى العالم؟ وما نتائجها؟
١٠. ما طرق التحقق من أغلفة الكتب المُجلدة بجلد البشر؟
١١. هل استخدمت الجلود البشرية فى تجليد الكتب المقدسة، بما فيها القرآن الكريم؟
١٢. من هم الأشخاص الذين استُخدمت جلودهم فى تجليد الكتب؟ وما ملابسات حدوث ذلك؟
١٣. هل استُخدمت جلود البشر فى أغراضٍ أخرى غير تجليد الكتب؟
١٤. كم عدد الكتب التى غلفت بجلد البشر؟ وما بياناتها الببليوجرافية؟ وما توزيعاتها اللغوية والموضوعية والزمنية؟

أهداف الدراسة:

انطلاقا من التساؤلات السابقة يمكن صياغة الأهداف التالية:

١. عرض السياقات الدينية والثقافية والقانونية التى صاحبت ظهور وتطور ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري.
٢. تحديد الفترة التى بدأت فيها ظاهرة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر، وكذا توقفها، مع إلقاء الضوء على أسباب الظهور والتوقف.
٣. الوقوف على دوافع تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري، مع الإشارة إلى مصادر الحصول عليه.
٤. تحديد طرق دبغ الجلد البشري، وتجهيزه لعملية التجليد، وكذا أماكن الدبغ، وأشهر الدابغين.
٥. إبراز دور كل من الأطباء وجامعى الكتب فى ظهور ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري.
٦. إظهار دور العلماء والمتخصصين فى محاولة التحقق من الكتب المُجلدة بجلد البشر.
٧. تبيان طرق التحقق من كون الكتب المُكتشفة مجلدةً بجلد بشري أم لا.
٨. إبراز نتائج جهود التحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر، بما فيها الكتب المقدسة وخاصة القرآن الكريم.
٩. إلقاء الضوء على بعض القصص الحقيقة لأشخاص استُخدمت جلودهم فعليا فى تجليد الكتب.
١٠. الإشارة إلى الاستخدامات الأخرى للجلود البشرية، بخلاف استخدامها لتجليد الكتب.
١١. إعداد قائمة ببليوجرافية بالكتب المُجلدة بجلد البشر، مع تحديد الاتجاهات اللغوية والموضوعية والزمنية فى دراسة ببليومترية مُبسطة.

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من كونِها:

١. تلقى بالضوء على مادة من مواد التجليد التى لم يعتد عليها القراء أو المتخصصون فى علوم المكتبات والمعلومات على المستويين العربي والعالمي، ألا وهى جلود البشر.
٢. تتناول قضية أحدثت ومازالت تُحدث ضجيجاً فى الأوساط العلمية على مستوى المكتبات فى جميع أنحاء العالم، هذا الضجيج الذى شجع القائمين على تلك المكتبات - خاصة التى تشتمل على كتبٍ نادرةٍ- أن يقوموا بفحصِها وتحليلها مُستعينين بمتخصصين فى تحديد المادة المستخدمة فى التجليد؛ علَّهم يَعثرون على كتبٍ أخرى مُجلدة بجلد البشر.
٣. أول دراسة أكاديمية على المستويين العربي والعالمي – فى حدود علم الباحث- تتخذ منحىً تاريخياً مختلفاً نحو مواد تجليد الكتب؛ برصد ظاهرة سلخ ودباغة الجلد البشري واستخدامه فى تجليدها، من وجهة نظر علم المكتبات والمعلومات، وباستخدام خطوات منهجية وإجرائية تضمن سلامة عرضها وصحة نتائجها.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون المنهج التاريخي هو الأنسب لها؛ حيث أنه يتناول أحداث ووقائع الماضى بهدف إعادة بنائها واكتشاف الجديد فيها فى إطار سياقها، كما يعمل على تحليل وتفسير الأحداث التاريخية ما يؤدى إلى فهم وإدراك متى وقعت هذه الأحداث فى الماضي[١]. ويقع فى منظور الباحث أن لا سبيل إلى استمرارية تخصص المكتبات والمعلومات وتطوره، دون مَدٍ لجذوره فى تاريخ الإنسانية؛ فحينها فقط سيصعب اقتلاع هذا التخصص من شجرة المعرفة البشرية.

مصطلحات الدراسة:

١/٧ التجليد (تجليد الكتب): Book Binding

عرّف قاموس المعانى الجامع[٢] مصطلح التجليد تعريفاً لغويا على أنه "من المصدر جَلَّدَ كأن نقول يَرْغَبُ فى تَجْلِيدِ كُتُبِهِ: أى تَغْلِيفِهَا بِالجِلْدِ. والتَّجْلِيد النِّصفيّ: هو طريقة تجليد للكتب يكون فيها ظهر وزاوية الكتاب مجلّدة بمادة تختلف عن بقية تجليد الكتاب. وجَلَّدَ الكُتُبَ: غَلَّفَهَا بِالجِلْدِ لَصْقاً".

أما التعريف الاصطلاحي فقد عرفته جيهان محمود[٣] على أنه "الغلاف الخارجي السميك الذى يحيط بالكتاب بهدف حمايته من كثرة الاستعمال، وبمرور الوقت أصبح الغلاف وسيلة لتزيين الكتاب وإظهاره بمظهر حسن".

واستُخدمت الكثير من المواد المتنوعة فى صناعة غلاف الكتاب كالجلود - بعد دباغتها- مثل: جلود الغنم، والماعز، والخنازير، والعجول، والغزلان، والثعابين، إضافة إلى القماش كأقمشة القطن والكتان، كما ظهرت مواد تجليد أكثر حداثة مثل البلاستيك، والورق المضغوط، والورق المقوى، والكرتون وغيرها[٤].

(١) محمد فتحي عبدالهادى. البحث ومناهجه فى علم المكتبات والمعلومات .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية: ٢٠٠٣.- ص١١.
(٢) مفهوم مصطلح "تجليد الكتب" فى معجم المعانى الجامع. متاح فى < http://www.almaany.com/>
(٣) جيهان محمود السيد. الببليوجرافيا التحليلية: دراسة فى أوائل المطبوعات العربية؛ تقديم شعبان عبدالعزيز خليفة.- الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، ٢٠٠٠.- ص ٥١١.
(٤) شعبان عبد العزيز خليفة. مصدر سابق. ص ص ٧٠١-٧٠٧.

٢/٧ الجلد البشري (البشرة): Skin

عرفه قاموس المعانى الشامل(١) - من منظور علم التشريح- على أنه "الغلاف الخارجي للجسد ويتكون من طبقتين رقيقتين: البشرة والأَدَمَة(♣)، وهو تلك القشرة الرقيقة التى تُغطى جسم الإنسان والحيوان، حماية له من عاديات الطبيعة كما يوجد به مراكز الحس". وفى هذا التعريف تعميم على كل من الحيوان والإنسان، إلا أن ما يرتبط بهذه الدراسة هو الجلد البشري.

٣/٧ البيليوبيجيا Bibliopegy:

يعود الأصل اللغوي للمصطلح إلى اللغة اللاتينية، إذ ينقسم إلى مقطعين: أما الأول Biblio فيعنى الكتاب، ويكتب باللاتينية (βιβλίον)، والثانى Pegy ويُعنى "الارتباط بشئ ما"، ويكتب فى اللاتينية (πηγία). واتُفق على ترجمته إلى "فن تجليد الكتب" كما ورد فى الكثير من القواميس المتاحة على شبكة الإنترنت باللغة الإنجليزية[٢][٣]، وكذا فى الأدبيات القليلة التى تناولته على نحو ما يُلاحظ فى عنوان كتاب جون هانيت John Hannett[٤] الذى استخدم عبارة "فن تجليد الكتب" كمرادف لمصطلح Bibliopegy.

٤/٧ أنثروبوديرميك Anthropodermic:

ينقسم مصطلح Anthropodermic إلى مقطعين: أما الأول Anthropo فيشير إلى شئ ما يرتبط بالبشر أو يُنتج من خلالهم، والثانى Dermic فيتعلق بالبشرة أو الجلد البشري نفسه[٥]. أما المصطلح كاملاً Anthropodermic Bibliopegy فلم يظهر فى القواميس اللغوية الأجنبية حتى عام ١٨٥٩م على نحو ما يُلاحظ فى قاموس ميريام ويبستر Merriam Webster Dictionary، كما لم يأت ذكره أيضا فى قاموس أوكسفورد كاملاً قبل عام ١٨٧٦م ، إلا فى مثال واحد كان بطله "قاطع الطريق" (المقصود هنا جورج والتون وسيأتى الحديث عنه لاحقا). فقد استُخدم مصطلح "تجليد الكتب" فقط قبل هذين التاريخين دون الإشارة إلى مصطلح Anthropodermic Bibliopegy كاملاً[٦].

مما سبق يتضح أن كلا الكلمتين أنثروبوديرميك، وببليوبيجيا كونتا مصطلحاً مهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدراسة الحالية وهو "تجليد الكتب باستخدام جلود البشر"، ورُغم أنه مصطلح غير دارج إلا أنه قديم فى ظهوره على نحو ما ذُكر آنفاً، وبناء على ما قد يكتنف هذا المصطلح من غموض؛ آثر الباحث تعريفه إجرائيا على إنه "تلك الممارسة غير الإنسانية التى سُلخت ودُبغت فيها جلود البشر، رجالاً ونساءًا، لاستخدامها كمادة من مواد تجليد الكتب منذ القرن السادس عشر، حتى نهايات القرن التاسع عشر الذى شهد تطورها بشكل ملحوظ"

---

(١) مفهوم مصطلح "تجليد الكتب" فى المعجم الإلكترونى لمصطلحات المكتبات والمعلومات أودليس ODLIS. متاح فى:
>http://www.abc-clio.com/ODLIS/odlis_b.aspx <

(♣) هى طبقة عميقة من الجلد تحت البشرة وفوق اللحم تحتوى على النهايات العصبية والغدد العرقية والدهنية والأوعية الدموية واللمفاوية.

(٢) تعريف مصطلح Bibliopegy. متاح فى <<http://www.dictionary.com/browse/bibliopegy>> تمت الزيارة فى <<20-11-2017>>

(3) Pope BA, Cassandra. Bound in Human Flesh: An Exploration of the Horrific Birth of Anthropodermic Bibliopegy.- University of Amsterdam: Faculty of Humanities, Department of English Literature & Culture.- 2013.- P٧١.(Masters Diploma Thesis).

(4) Hannet, John. Bibliopegy, Or, The Art Of Bookbinding.- 4th ed.- London: Simbkin, Marshall. And CO., 1848.- p. 166.

(5) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.7.

(6) Anthropodermic Bibliopegy .Available at:
<http://www.theinfolist.com/php/SummaryGet.php?FindGo=Anthropodermic%20bibliopegy>. Cited in:
<20-5-2017>.

بحث الإنتاج الفكرى:

١/٨ عربيا:

أُجريت عملية بحث راجع للتوصل إلى الإنتاج الفكري العربي ذو الصلة بالدراسة الحالية باستخدام مصطلحي: البيليوبيجيا، تجليد الكتب بجلود البشر. وذلك فى ثلاثة من مراصد البيانات المتخصصة وغير المتخصصة التالية:

١. الدليل البيليوجرافي للإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات بطبعاته المختلفة، والتى تغطى الفترات التالية: (١٩٧٦-١٩٨٥م)(١)، (١٩٨٦-١٩٩٠م)(٢) (١٩٩١-١٩٩٦م)(٣)، (١٩٩٧-٢٠٠٠م)(٤)، (٢٠٠١-٢٠٠٤م)(٥)، (٢٠٠٥-٢٠٠٧م)(٦)، (٢٠٠٨-٢٠٠٩م)(٧)، و(٢٠١٠-٢٠١١م)(٨).
٢. قاعدة بيانات دار المنظومة(٩) المتاحة عبر الموقع الرسمي لجامعة طيبة بالمملكة العربية السعودية.
٣. الفهرس الموحد للمكتبات الجامعية المصرية على شبكة الإنترنت(١٠).

ولم يُعثر عن أية دراسة عربية تناولت ظاهرة استخدام جلود البشر فى تجليد الكتب. ليس هذا فحسب، بل إن البحث عن مصطلح "ببليوبيجيا"، أو"ببليوبيجى" - بصيغتيه- فى محرك البجث جوجل Google لم يُسفر عن أية نتيجة، إذ جاءت نتيجة البحث "صفر". وعند استخدام الباحث عبارة "تجليد الكتب بجلود البشر"، فى محرك البحث ذاته، اقتصرت النتائج على بعض الأخبار القليلة جدا حول اكتشاف بعض الكتب المجلدة بجلود البشر بجامعة هارفارد. ويود الباحث هنا أن يُبرز إشارة شعبان خليفة(١١) إلى استخدام جلود البشر وخاصة النساء فى تجليد الكتب فى مَعْرِض تأريخه لمواد تجليد الكتب.

٢/٨ عالمياً:

بالبحث فى الإنتاج الفكري الأجنبي ممثلاً فى الأبحاث الأكاديمية المنشورة بمختلف قواعد البيانات العالمية، وباستخدام مصطلحات: (Binding " - Book& Binding& Human skin& Bibliopegy "with human skin" -"Book Binding with human flesh" -"Book Binding with human skin" -"Bounded in human skin") تبين وجود دراسة أكاديمية واحدة فقط بالإضافة إلى ثلاث مقالات أخرى، يستعرضها الباحث فيما يلى:

---

(١) محمد فتحى عبدالهادى (١٩٨٨). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٧٦- ١٩٨٥م.– الرياض: دار المريخ.- ٥٧٧ص.
(٢) محمد فتحى عبدالهادى (١٩٩٥). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٨٦- ١٩٩٠م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٦٥٥ ص.
(٣) محمد فتحى عبدالهادى (٢٠٠٠). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٩١- ١٩٩٦م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٨٠٥ ص.
(٤) محمد فتحى عبدالهادى (2003). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٩٧-٢٠٠٠م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٧٢٨ ص.
(٥) محمد فتحى عبدالهادى (٢٠٠٧). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ٢٠٠١-٢٠٠٤م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٧٥٥ ص.
(٦) محمد فتحى عبدالهادى (٢٠١٠). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ٢٠٠٥-٢٠٠٧م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٦٣٧ ص.
(٧) محمد فتحى عبدالهادى (٢٠١٢). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٥٠٤ ص.
(٨) محمد فتحى عبدالهادى (٢٠١٤). الإنتاج الفكري العربي فى مجال المكتبات والمعلومات: ٢٠١٠-٢٠١١م.– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، .- ٥٨١ ص.
(٩) يمكن الدخول إلى موقع قاعدة بيانات دار المنظومة من خلال الرابط التالي:
<http://0410u8jsd.y.http.search.mandumah.com.proxy.taibahelibrary.com/MyResearch/Home>
(١٠) يمكن الدخول إلى موقع اتحاد المكتبات الجامعية من خلال الرابط التالي:
<http://srv4.eulc.edu.eg/eulc_v5/libraries/start.aspx>
(١١) شعبان عبد العزيز خليفة. مصدر سابق. ص ص ٧٠١-٧٠٧.- ص ٧٠١.

١. دراسة كاسندرا بوب Cassandra Pope: [١] وفيها حاولت الباحثة استكشاف ظاهرة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر والتأريخ لها، وخَلُصت الدراسة إلى ضرورة تناول هذه الظاهرة من وجهات نظر مختلفة حتى لا تندثر فى تاريخ الفكر البشرى؛ إذ أنها لن تتكرر مرة أخرى لاعتبارات عِدة منها ما هو إنساني وديني وقانوني، كما استنكرت الباحثة إقبال القراء على مثل تلك النوعية من الكتب، فمن الطبيعي أن يعزفون عنها؛ نظرا لطبيعة الجلود المستخدمة فى تجليدها، وتساءلت الباحثة أيضا عن مشروعية تلك الظاهرة قديماً، وكيف انتشرت ومُورست دون قيود قانونية أو أخلاقية.

٢. مقالة جاكوب جوردان Jacob Gordon[٢] وعمد فيها إلى التحقق من وجود ظاهرة تجليد الكتب باستخدام جلد البشر موضحاً آثارها، وخلصت الدراسة إلى أن هذه الظاهرة كانت تمارس بالفعل، فعلى الرغم من أنها مثلت ومازالت تمثل نوعاً من الدعاية للمكتبات التى تحويها مصحوبة بنقاش حادٍ بشأن أخلاقيات مُمَارسيها، إلا أنها أصبحت جزءاً من المجموعات المكتبية التى يُنظر إليها باهتمام، مما جعل أغلفتها أكثر شهرة من محتوياتها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ازداد الروع من تلك الكتب المجلدة باستخدام جلد البشر بعدما استُخدمت تقنيات متطورة أثبتت بالفعل نسبة هذه الأغلفة إلى بنى البشر؛ لذا وجب التعامل معها بحذر، كما يجب احترامها لأنها أولا وأخيرا بقايا بشرية. كما يجب الاحتفاظ بها فى مجموعات خاصة بالمكتبات تحت اشراف مُحكم حتى لا يتم العبث بها.

٣. مقالة لورانس ثومسون Lawrence S. Thompson[٣] وقدم فيها شرحاً وافياً لمصطلح "دباغة جلود البشر" مشيراً إلى بعض أسماء الأشخاص الذين استُخدمت جلودهم فى تجليد الكتب، إضافة إلى توضيح أسباب الاعتماد على أجزاء معينة من الجلد البشرى دون غيرها.

٤. مقالة ريجبى جراهام Rigby Graham[٤] وشرح فيها دباغة الجلود البشرية بشئ من التفصيل، وكذا أماكن الدباغة. كما عرض بعضاً من الشواهد لكتب مُجلدة بجلود البشر، إضافة إلى إشارته إلى بعض الاستخدامات الأخرى للجلد البشري.

وبفحص الدراسات السابقة يتبين أن هناك دراسة أكاديمية واحدة فقط على مستوى العالم تناولت ممارسة تجليد الكتب باستخدام جلد البشر، وقُدمت إلى قسم اللغة الإنجليزية (تخصص الأدب الإنجليزي) بكلية الإنسانيات بجامعة أمستردام فى هولندا، هذا بالإضافة إلى ثلاث مقالات أخرى غير أكاديمية كما سبق وأن أردف الباحث. ويُلاحظ إن جميعها تناولت بعض المحاور المُحددة لظاهرة استخدام الجلد البشري فى تجليد الكتب، وهذا ما يختلف اختلافاً كليا عن الدراسة الحالية التى تحاول تغطية تلك الظاهرة - قدر الإمكان- من كافة جوانبها، من وجهة نظر علم المكتبات والمعلومات.

ثانياً: الدراسة التاريخية:

١/٢ السياقات الدينية والثقافية والقانونية والحقوقية التى صاحبت ظهور ممارسة تجليد الكتب بجلود البشر:

بدأت ممارسة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر أبان عصر النهضة Renaissance وتحديداً منذ القرن السادس عشر، وعليه يسرد الباحث فى هذا المحور -بإيجازٍ- بعض السياقات الرئيسة التى ظهرت أبان العصر الوسيط وبدايات عصر النهضة وتتصل مباشرة وممارسة تجليد الكتب باستخدام جلد البشر.

(1) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.18.
(2) Gordon, Jacob (2016). In the Flesh? Anthropodermic Bibliopegy Verification and Its Implications.- Journal of Rare Books, Manuscripts, and cultural Heritage Vol. 170.- No. 2. PP. 118-133.
(3) Thompson, Lawrence S. Tanned Human Skin. (Apr 1946). Bulletin of the Medical Library Association.- Vol. 34. No. 2.- PP 93-102
(4) Graham, Rigby (Jan 1965). Book Binding With Human Skin.- Journal of The Private Libraries Association.- Vol. 6.- No. 1.- PP. 14-18.

١/١/٢ الكنيسة فى العصر الوسيط، واختراع الطباعة فى عصر النهضة:

خَضعت الحياة الفكرية والعلمية أبان العصر الوسيط وفى بدايات عصر النهضة للكنيسة التى انفردت منذ أواخر القرن السابع عشر بالإشراف على التعليم الذى كان دينيًا بحتًا هدفه إعداد الشباب ليصبحوا رجال دين، كما أشرفت الكنيسة على مدارس الأديرة والكاتدرائيات وقام رجال الدين بمهمة التدريس، وغيرها من الأدوار الدينية؛ وعليه فقد عمد مفكروا عصر النهضة إلي تقليص الدور المحوري للكنيسة فى حياة المجتمعات الأوربية آنذاك معتمدين على الإنسان بما يحمله من إمكانات تؤهله لأن يصنع حياته دون الاعتماد على الكنيسة ومبادئها وإرشاداتها فقط، وساعدهم على ذلك اختراع الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج Johannes Gutenberg (1398م- 1468م)، هذا الاختراع الذى كان بمثابة السمة الرئيسة لعصر النهضة؛ فقد انتقل بالإنسان من الظلمات- التى سادت أوروبا فى العصر الوسيط - إلى النور، كما أحدث طفرة هائلة فى المؤلفات والكتابات خاصة الروايات الأدبية والدواوين الشعرية[١].

فالناظر إلى تجليد الكتب باستخدام الجلد البشرى أبان عصر النهضة، وكذا العصر الحديث، سيجد نفسه أمام عاملين أساسيين لظهور هذه الممارسة غير الإنسانية، أما الأول فهو بروز دور الكُتّاب بعد اختراع الطباعة، وما مَثّله ذلك من إدراكٍ لقدرة النص المكتوب على التحكم فى حياة البشر، والثانى هو الإعجاب الجم بالجسد البشري خاصة أجساد النساء، كنتيجة للتخلص من قيود الكنيسة، فقد حدث تحول فى الرأى العام العالمي منذ القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر تزامنًا مع تطور الكتاب المطبوع؛ إذ وَجد الكُتّاب طريقهم نحو تحقيق الشهرة والخلود من خلال كتاباتهم، فقد أصبح باستطاعتهم التعبير عن المشاعر والأفكار من خلال الكلمة المطبوعة التى أصبحت تُنشر وتُوزع على العامة إينما كانوا، ما ساعد على تحقيق رغبتهم فى الشهرة[٢]. وفى حقيقة الأمر، فإن كل النماذج المُكتشفة حتى الآن للكتب المجلدة بجلد البشر إنما ظهرت بعد اختراع الطباعة، بينما كانت الكتب تباع دون قص أو تجليد ليتمكن مالكها من تجليدها طبقًا لهواه ورؤيته الخاصة[٣].

لقد استطاع كُتّاب عصر النهضة أن يتركوا أثرهم بشكلٍ واضح فى مُعظم البلدان الأوربية عن طريق مؤلفاتهم؛ إذ صارت القدرة على التعبير عن المعتقدات والتأثير على القراء أمرًا يسيراً، فقد أسهموا فى تشكيل وجهات نظر الآخرين. وهذا ما أكدته كاسندرا[٤] حينما أشارت إلى أن الرغبة فى الشهرة أصبح هدفاً كامناً فى عقلية الكُتّاب أبان عصر النهضة، وأصبح تجليد الكتب باستخدام جلود البشر تجسيداً مادياً لرغبتهم فى تحقيق الشهرة بأية وسيلة دون اعتبار لمدى جُرم تلك الوسيلة.

٢/١/٢ المحاكم وحقوق الإنسان فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية:

ساهمت المحاكم أبان القرن التاسع عشر فى أحكامها على المجرمين مساهمة كبيرة فى ظهور الكتب المغلفة بجلد البشر، وتمثل ذلك فى حكمهم على المعدومين بتشريح جثامينهم، ففى انجلترا على سبيل المثال كان هناك ميلٌ ملحوظٌ من جانب المحاكم للحكم على المجرمين المعدومين بأحكام تقضى بتسليم أجسادهم إلى الجراحين للتشريح.[٥] بحيث يتم تحويل جلد المحكوم عليهم إلى كتب تشويهاً لسمعتهم[٦]. فقد كانت حالات الإعدام المصدر القانوني الوحيد للحصول على الجثث لتشريحها[٧].

---

(١) عبدالعظيم رمضان. تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٧م.- ١٩٥ص.

(2) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.22.
(3) Holding a Book Bound in Human Skin. Available at:
<https://thechirurgeonsapprentice.com/2014/11/26/holdingabookboundinhumanskin/>cited in <4-6-2017>
(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.25.
(5) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.95.
(6) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(7) Rosenbloom, Megan. A Book by Its Cover. The Strange History of Books Bound in Human Skin.- 2016.- Available at:

لقد سبَّبَ ازدهار العلوم الطبية، وكذا قلة أعداد حالات الإعدام، مشكلة كبيرة للجراحين الذين اضطروا الحصول على جثث الموتى من خلال قنوات غير شرعية؛ مما حدا بمائتي رجل من رجالات العلم فى إنجلترا وتحديداً فى مدينة بريستول Bristol بالاجتماع مُطالبين الحكومات بضرورة زيادة أعداد الجثث وتوفيرها للأطباء والجراحين بدلا من الاعتماد على الجثث التى تؤول إليهم من المجرمين المأجورين(١). ومحاولة من الحكومات الأوربية آنذاك فى التقليل من جريمة نبش القبور؛ نص قانون أوروبي على تحريم دفن جثث المجرمين المعدومين، فكان على تلك الجثث إما أن تبقى معلقة حيث أعدمت، أو أن يتم تشريحها علنا، أو تستخدم فى مشارح كليات الطب، وقد ساعد هذا على ظهور الأغلفة المصنوعة من الجلد البشري؛ إذ كانت وسيلة للتخلص من بقايا عملية التشريح(٢).

وعلى صعيدٍ آخر وتحديدًا فى فرنسا أعلن الثوار "حقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩م"، هذا الإعلان الذى يرى الباحث أنه ليس له قيمة على اعتبار أن الثورة الفرنسية (1789م- ١٧٩٩م) كانت بمثابة المصدر الرئيس للجثث التى استُخدمت جلودها فى تجليد الكتب- كما سيتضح لاحقا- فكيف يكون إعلان حقوق الإنسان أحد أهداف الثورة؟ وفى نفس الوقت يتم استخدام جلود المناوئين للجمهورية بعد قتلهم فى تجليد الكتب، على أية حال فقد جاء ضمن هذا الإعلان الحقوقي جملة، نصها(٣) "من حق كل إنسان أن يعرض خدماته ووقته ولكن ليس له الحق فى بيع نفسه لأنه إنسان وليس مجرد سلعة." هذا الحق الذى لم يكن هناك اهتمامًا به فى ظل ظهور الكتب المجلدة بجلود بشرية لمواطنين فرنسيين.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كانت الجلود البشرية المستخدمة فى تجليد الكتب تُؤخذ فى بعض الأحيان جراء نبش القبور وسرقتها، إذ لم يُنص على عقوبة هذه الجريمة فى مواد قانون حماية قبور الأمريكيين؛ فمواد هذا القانون لم تكن تهتم بمثل تلك الأمور، وتأكيدا لضرورة وجود قانون يحمى حقوق الجنس البشري؛ صرح بول نيدهام Paul Needham أمين المجموعات الخاصة والكتب النادرة بمكتبة برينستون Princeton بالولايات المتحدة الأمريكية، قائلاً:

"على الرغم من أن حماية الكتب المُجلدة بجلد البشر هى مسؤولية المكتبات والمتاحف، إلا أنها ليست بعزلة عن المشكلات الأخلاقية التى تتعلق بهذه الكتب، كما أنه لا يوجد أثر لغرض بحثي يمكن أن يعود بالفائدة على البشرية بدراسة هذه الكتب والأغلفة المصنوعة بجلد البشر، إذ ينبغى إزالة الجلد المستخدم فى التجليد ودفنهِ بطريقة محترمة".

ويرى الباحث صعوبة حدوث ذلك فقد اعتُبرت تلك الكتب من ضمن المجموعات النادرة فى تلك المكتبات والمتاحف، وغيرها، وعليه فلن تفرط فيها، على الرغم من منطقية وصحة ما أدلى به نيدهام إلى حد كبير.

فبالنّظر إلى الإرشادات الطبية الحديثة التى تتعلق بإجراء الأبحاث العلمية على الجثث، يتضح أن هناك تشديدًا على التوازن بين المنافع المحتملة من هذه الأبحاث مع الالتزامات الأخلاقية للجثث المُتوفاه حديثًا، وعليه فإن التعامل مع الجثث البشرية لابد وأن يكون مصبوغاً ببعض الاحترام لقيمة وكرامة الشخص الذى كان على قيد الحياة ذات يوم من الأيام(٤). فالكثير من المتاحف تمتلك أشلاءً بشريةً، إلا أن

<http://laphamsquarterly.org/roundtable/bookitscover>. Visited in <13-5-2017>
(1) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.27.
(2) McKendry, Rebekah. 5 Historical Books that are Actually Bound in Human Skin. Available at: <http://www.blumhouse.com/2016/03/09/5historicalbooksthatareactuallyboundinhumanskin/ >. Cited in: <13-5-2017>.
(3) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.
(4) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.118.
(♣) تبنت منظمة اليونسكو مهمة إعادة رفات (رؤوس) قبائل الماروى المحنطة بعد أن كانت معروضة فى بعض المتاحف فى فرنسا، كما فى أعادت الولايات المتحدة الأمريكية أربعة رؤوس لجثث محنطة من قبائل الماروى فى نيوزيلندا أيضا.

بعضها أُعيد فى السنوات الأخيرة إلى دول منشأها، مثل: رؤوس الماورى المحنطة(♣) Mummified Maori heads التى أُعيدت إلى نيوزيلندا New Zealand، وكذلك العظام والأشلاء الأخرى التى أُخذت من استراليا وأمريكا الشمالية فقد عادت إلى موطنها، وهنا يُطرح سؤالًا مهمًا وهو لماذا تُعرض الكتب المُجلدة بجلد بشري كأشياء مثيرة للفضول أمام الجمهور؟ ولن يَرُد أحدٌ على ذلك إلا بإجابة مقتضبةٍ مَفادها أن أعدادها مازالت قليلة حتى الآن(١).

على أية حال يمكن القول بأن الفضل فى اكتشاف الكتب المجلدة بجلد البشر إنما يعود إلى المكتبات ومؤسسات اختزان المعلوات ودورها الجلل فى الحفاظ على المكتسبات الحضارية والبشرية رُغما عن الآراء والادعاءات التى قالت بأن مآلها الزوال، فكل يوم تُطِل علينا المكتبات بما تحويه من ذخائر الكتب، وتثور مستخرجة من بطونها كنوز المعرفة، وتعد الكتب المجلدة بجلود البشر واحدة من تلك الذخائر والكنوز التى تأكد وجودها فى بعض المكتبات على مستوى العالم، رُغما عن توافر الكثير من مواد التجليد الأخرى وقت صناعة أغلفة الكتب، كما سبق وأن أشار الباحث. فقد أحدثت تلك النوعية من الأغلفة صخباً عالميا، هذا الصخب وهذه الأغلفة اللذين كان للمكتبة - كمؤسسة لحفظ التراث- دورٌ فى ظهورهما، يُضاف إلى ذلك إسهام مُلّاك الكتب وجامعوها وكذا الأطباء وعلماء التشريح بدورهم فى ظهور تلك الممارسة، حتى صارت الكتب المجلدة بجلد البشر جزءًا مهمًا وبارزًا بين مجموعات بعض المكتبات والمتاحف العالمية فى وقتنا الحاضر.

٢/٢ نشأة تجليد الكتب بجلود البشر:

قد تتصدر الكتب المجلدة بجلود البشر عناوين الصفحات الأولى لصُحف اليوم صانعة بذلك نوعاً من الضجة حول تلك الممارسة غير الإنسانية، إلا أنها لم تكن كذلك أبان ظهورها؛ فقد كانت الكتب المنشورة حول القتل والطب والحب تُجلد فى جلد يتلائم وموضوعاتها، إذ كان أمرًا مألوفاً بين الطبقات المتعلمة والراقية فى أوروبا وأمريكا آنذاك(٢). وبالطبع أثيرت الكثير من الأساطير حول تلك الممارسة، وجميعها – تقريبا- وضعتها فى إطار مثير للريبة والرفض؛ باعتبارها سلوكًا غير مقبولٍ، لكن الكتب المجلدة باستخدام جلود البشر تمتلك واقعًا وتاريخًا مختلفًا؛ فقد كانت غالبا ما تحوى نصوصاً على قدرٍ من الأهمية(٣).

تَضْربُ ممارسة سلخ ودباغة الجلود البشرية بجذورها عمق التاريخ البشري، إذ اعتاد الآشوريون سلخ أسراهم أحياءًا وتثبيت جثثهم على أسوار المدينة، هذا من ناحية ومن ناحية أخري وطبقاً لما ذكره هيرودوت Herodotus فقد رسخ الكثيرون لهذه الممارسة فى عصور ما قبل الميلاد، إذ كانت بمثابة نوع من أنواع الفنون الجنائزية، وفى بريطانيا الساكسونية(♣) Saxon Britain ومنذ القرن الخامس الميلادي، كان من المعتاد أن يدفع بعض المجرمين المال للحفاظ على جلودهم من التحلل والاندثار(٤).

اختلفت الرؤى حول البداية الفعلية لدباغة الجلد البشري واستخدامه فى تجليد الكتب، فهناك بعض التقارير التى أكدت أن الكتب المُجلدة باستخدام الجلد البشري يعود ظهورها إلى العصور الوسطى حيث

(1) Dean, Erin. The macabre world of books bound in human skin BBCNews. Available at: <http://www.bbc.com/news/magazine27903742>. Cited in: <<13-5-2017>>.
(2) Archer, Caroline. Print's macabre side. Available at: <http://www.typographichub.org/articles/entry/printsmacabreside/>. Cited in: <12-5-2017>.
(3) Hood, Nathanael. Top 10 Books Wrapped in Human Skin. Available at: <http://www.toptenz.net/top10bookswrappedinhumanskin.Php>. Cited in: <13-5-2017>.
(♣) هى مجموعة من القبائل التى سكنت سهل ألمانيا الشمالي، واندمج بعضهم فيما بعد ببريطانيا العظمى خلال العصر الوسيط، وقد شكلوا أول مملكة لحكم انجلترا.
(4) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.94.

كان دبغها أمرًا شائعًا[١]. على نحو ما ذُكر إن إنجيل فرنسي مكتوب باللغة اللاتينية[٢] يعود إلى القرن الثالث عشر مغلف بجلد امرأة مجهولة الهوية وهو الآن قابعٌ فى المكتبة الوطنية الفرنسية، بعد أن كان مملوكاً لجامعة السوربون[٣]، وهناك من ذهب إلى أن القرن السابع عشر شهد البداية الفعلية لظهور تلك الممارسة على نحو ما أقر كل من ناثانيل هوود Nathanael Hood[٤] وكيث فيرنوس Keith Veronese[٥].

ووفقا لما اطلع عليه الباحث من كتابات حول تلك الظاهرة؛ فمن المؤكد أن بداية ممارستها كانت منذ نهايات القرن السادس عشر، مرورا بالقرنين السابع والثامن عشر، إلى أن وصلت ذروتها فى القرن التاسع عشر، وهذا ما أكده سايمون تشابلين Simon Chaplin مدير مكتبة ويلكوم Wellcome بلندن، إذ قال أن المكتبة تضم كتاباً واحداً مغلفاً بجلد بشري وهو عبارة عن نصٍ من القرن السادس عشر حول "العذرية" جُلِد فى القرن التاسع عشر بإيعاز من لودويك بولاند Ludovic Bouland[٦] أى بعد كتابة النص بحوالي ثلاثة قرون، ومن الواضح أن اختيار الجلد البشري يتناب مع عنوان النص بما قد يشير إلى سبب التجليد.

لقد شهدت ممارسة التجليد بجلد البشر رواجًا حقيقيًا خلال الثورة الفرنسية، عندما استُخدمت جلود القتلى من المناهضين لقيام الجمهورية فى تجليد الكتب، مثل: كتاب "حقوق الإنسان" The Rights of Man، وكتاب "الدستور الفرنسي"French Constitution[٧]، وكذلك مجموعة القصائد الشعرية لجون ميلتون John milton، وذلك بالاعتماد بشكل مستمر على الجثث حديثة الوفاة التى لم تتحلل بعد Fresh bodies[٨]، وتقبع هذه الكتب الآن فى متحف كارنفالييه Carnavalet بمدينة باريس[٩]، هذا بالإضافة إلى تجليد كتب الجراحة، والوَصايا، وشهادات الشهود فى المحاكم، فضلاً عن الاجراءات القانونية، وغيرها[١٠]. وانتشرت بعد ذلك الأقاويل حول استخدام الجلد البشري خلال الحروب وخاصة الحرب العالمية الثانية عندما انتشر ادعاء - لم يتم إثباته- أن النازيين استخدموا جلود ضحايا محرقة الهولوكوست Holocaust فى تجليد الكتب وصناعة عواكس الضوء للمصابيح بعد صبغها بمادة لامعة[١١]. ونتيجة أيضا للتحقيقات التى أجراها ضباط قوات التحالف بشأن معسكرات الاعتقال الألمانية؛ ثبت بالفعل أن الألمان كانوا متورطين فى أخذ جلود ضحاياهم ومعتقليهم، فقد تَعَرْف الطبيبُ البريطاني، السير بيرنارد سبيلسبيرى Sir Bernard Spilsbury، على بعض القطع الجلدية البشرية المأخوذة من ثمانية أسرى مختلفين، كما أن السيدة كوش Frau Koch زوجة أحد كبار الضباط الألمان قامت بجمع عدد من الكتب المُجلدة بجلود بشرية[١٢].

(1) Ibid. P. 95.
(2) Archer, Caroline. Op. Cit.
(3) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(4) Hood, Nathanael. Top 10 Books Wrapped in Human Skin. Available at: <http://www.toptenz.net/top10bookswrappedinhumanskin.Php>. Cited in <13-5-2017>.
(5) Veronese, Keith. Anthropodermic Bibliopegy, or The Truth About Books Bound In Human Skin. Available at: <https://io9.gizmodo.com/5886724/anthropodermic-bibliopegy-or-the-truth-about-books-bound-in-human-skin>. Cited in: <14-5-2017>.
(6) Dean, Erin. Op. Cit.
(7) Archer, Caroline. Op. Cit.
(8) Books of Human Flesh: The History behind Anthropodermic Bibliopegy. Available at: <https://thechirurgeonsapprentice.com/2012/01/31/booksofhumanfleshthehistorybehindanthropodermicbibliopegy/>. Cited in: <12-5-2017>
(9) Boston Athenaeum. Available at: <http://www.atlasobscura.com/places/bostonathenaeum>. Cited in: <13-5-2017>
(10) Hood, Nathanael. Op. Cit.
(11) Archer, Caroline. Op. Cit.
(12) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.96.

وفى القرن التاسع عشر شاعت تلك الممارسة خاصة بعد إعدام المجرمين أمثال: جيمس آلن James Allen، وجيمس جونسون James Johns ، ووليام بيرك William Burk، ووليام كوردر William Corder، فقد كانت جثثهم تُسلخ وتستخدم لتجليد كتب تؤرخ لأعمالهم الإجرامية[١]، كما سيشير الباحث لاحقا. وهذا ما أكدته أيضا ميجان روزنبلوم Megan Rosenbloom، مسؤولة المكتبة الطبية بجامعة جنوب كاليفورنيا، إذ أشارت إلى أن هذه الممارسة قد ذاع صيتها فى القرنين الثامن والتاسع عشر[٢]. واستمرت فى الانتشار حتى خفتت فى أوائل القرن العشرين إذ لم تعد منتشرة مع نهاية العصر الفيكتوري[♣] Victorian Age؛ فلم يعد مقبولاً أن تستمر تلك الممارسة غير الإنسانية مع التقدم الحادث بنهاية ذلك العصر[٣].

لقد استمر ازدهار ممارسة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر خلال النصف الأول من العصر الفيكتوري، إذ صُبغت محتويات الكتب والروايات - فى الغالب- بصبغة جنسية، وانشغلت الثقافة الفيكتورية بذلك، فقد أُدخلت مصطلحات مثل: الإباحية Pornography والسادية sadism للمرة الأولى إلى اللغة الإنجليزية خلال العصر الفيكتوري، وخاصة السادية إذ تم اشتقاقها من ماركيز دى ساد Marquis de Sade (١٧٤٠م- ١٨١٤م) الذى عُرف عنه التحرر الجنسي إذ كتب الكثير من الأعمال الجنسية، كما جُلدت نسخة من روايته – الممنوعة من التداول- "جستين وجولييت" Justine et Juliette فى جلد بشري مأخوذ من صدر امرأة، حيث كان محتوى الرواية يدور حول امرأة تم تعذيبها جنسيًا؛ كل هذا بهدف كبح جماح الرغبات والميول الدينية للمواطنيين الفيكتوريين الذين ظلوا متأثرين بدور الكنيسة التى سيطرت على عقول الأوربيين فى العصر الوسيط، وفى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، ظهرت ملامح نهضة علمية تعليمية تمثلت فى إنشاء المدارس والجامعات، إضافة إلى النهضة الصناعية التى بدأت تؤتى ثمارها فى تلك الفترة، وما صَحبَها من تقدم فني واجتماعي وأدت إلى بزوغ طبقات متعلمة واعية أسهمت فى تغيير النظرة الشهوانية للمرأة، وكذا فى الانتباه والتحول نحو الحفاظ على الجلد البشرى من الاستخدام المشين فى تجليد الروايات الأدبية، والدووين الشعرية، وغيرها من المضامين الإباحية والإجرامية[٤].

ويؤكد الباحث أن اختلاف الآراء حيال بدايات ظهور الكتب المجلدة بجلد البشر، بل وفى حقيقة استخدام جلد الإنسان فى تلك الممارسة من الأساس؛ يعد ظاهرة صحية أدت إلى مزيد من البحوث والدراسات التى أثبتت اليوم أن هذه الكتب موجودة بالفعل، وبإمكانها أن تكون نقطة محورية للنقاش حول كيفية إحداث التوازن بين تلك الممارسة غير الأخلاقية، وبين الدور الثقافي التقليدي الذى تقوم به، والحق يُقال أن هناك جدلًا بين التعامل باحترام مع بقايا البشر، وبين دور مؤسسات المعلومات ومراكز البحوث حول التحقق من تلك الكتب من ناحية، والإجابة من ناحية أخرى عن سؤال مهم وهو ما مصير تلك الكتب التى ثبت أنها مُجلدة ببقايا بشرية كان من الواجب التعامل معها باحترام؟

فعلى الرغم من أن العملية برمتها تبدو مؤلمة للنفس البشرية، إلا أن المكتبات تظل تحتفظ بتلك الإصدارات بين أرففها طالما استُخدمت بغرض البحث العلمي لا كمقتنيات للعرض على نحو ما ذكر بول وولب Paul Wolpe مدير مركز أخلاقيات علم الأحياء بجامعة بنسلفانيا، إذ صرح قائلًا "لا عجب أن

(1) Boston Athenaeum. Op. Cit.
(2) Lavelle, Judith (Oct. 2015) . Bodily Bookbinding.- Chemistry For Mummies.- Vol. 93 No, 42.Available at:<http://cen.acs.org/articles/93/i42/BodilyBookbindingChemistryMummies.html>.Cited in: <13-5-2017>.
(♣) نسبة إلى حكم الملكة فيكتوريا للمملكة المتحدة (إنجلترا الآن) الذى امتد بين عام ١٨٣٧م حتى عام ١٩٠١م.
(3) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.119.
(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.29.

التاريخ مازال يأتينا بكل ما هو فني ورائع، إلا أنه مؤسف فى نفس الوقت"، فهناك عدد لا بأس به من المكتبات، من ضمنها مكتبة جامعة هارفارد، تضم بين مقتنياتها مثل تلك الكتب[١].

لقد أسهمت المكتبات ومعارض الكتب والمتاحف، وغيرها بدورٍ فعالٍ فى التعريف بالكتب المجلدة بجلود البشر، فقديما وبالتحديد فى عام ١٩٠٣م تضمن معرضٌ للكتبِ نَظمهُ نادى جروليه Grolier Club بنيويورك قسماً بعنوان "الكتب المغلفة بمواد غريبة" Books coated with strange materials، وضم هذا القسم ثلاثة نسخ من كتاب "رقصة الموت" Dans of the Death تعود إلى القرن التاسع عشر مجلدة جميعها بجلد البشر، منها ثنتان ينتميان إلى مكتبة جون هاى John Hay بجامعة براون Brown[٢].

Brown[٢].

وحديثا يُعقد "صالون الموت" Salon of Death بمتحف ماتر فى فيلادلفيا، ومن ضمن فعالياته ما يطلق عليه "رحلتان إلى بعض العلوم الغامضة"، كان تجليد الكتب بجلود البشر موضوع رحلة من هاتين الرحلتين، فمن المؤكد أن متحف ماتر يضم خمسة كتب مغلفة بجلد البشر(شكل،١)، وهو أكبر عدد أمكن اكتشافه فى مكان واحد كما صرحت آنا دودى Anna Dhody مسئولة المتحف[٣].

شكل (١) الكتب الخمسة المجلدة بجلد البشر بمتحف ماتر فى فيلادلفيا

كما تستضيف مكتبة الكتب النادرة بجامعة سينسناتى Cincinnati شهرياً محاضرات بعنوان "كتاب واحد فى خمسين دقيقة"، يتناول فيها الباحثون والأكاديميون بالشرح والتحليل الكتب النادرة، ومن بينها الكتب المجلدة بجلد البشر[٤]. يضاف إلى ذلك معرض متحف قاعة الجراحين بمدينة إدنبرة Edinburgh بإنجلترا الذى يشتمل على الكثير من الكتب النادرة منها كتاب الجيب Bocket Book المُجلد بجلد ويليام بيرك الذى يجلب الزوار إلى قاعة الجراحين[٥].

وبما أن المكتبات كانت بمثابة حاضنة للكتب المجلدة بجلد البشر، وغيرها من الكتب النادرة؛ فمن بين مجموعاتها اكتُشفت أيضا تلك الكتب فى بدايات القرن الحادى والعشرين، إذ نُشرت لأول مرة فى عام ٢٠٠٦م مقالة بعنوان "الجلد فى سلاسل الكتب النادرة فى هارفارد"، وبعد ثمان سنوات تقريباً بدأت

(1) Johnson , M.L. Anatomy Book's Cover Is More Than Skin Deep. Available at: <http://articles.latimes.com/2006/jan/15/news/adnahleather15>. Cited in: <13-5-2017>.
(2) Anthropodermic Bibliopegy . Op. Cit.
(3) Lavelle, Judith . Op. Cit.
(4) Goldschmidt, Ben. Op. Cit.
(5) Flood, Alison. Flesh crawling: the books bound in human skin. Available at: <https://www.theguardian.com/books/booksblog/2014/apr/07/booksboundhumanskin>. cited in:<13-5-2017>

مكتبات الجامعة فى اختبار أغلفة كتبها وتحديداً فى ربيع عام ٢٠١٤م، وأشارت النتائج التى توصل إليها القائمون بعملية الاختبار –فى عمومها- أن عدد الكتب التى يُرجح أنها مُجلدة باستخدام الجلد البشري من المحتمل أن يكون أكبر بكثير من تلك التى تم الكشف عنها[١].

وبشكل خاص كُشف عن ثلاثة كتب- على الأقل- من بين ١٥ مليون مجلداً تمتلكها مكتبات الجامعة يُعتَقد بأنها مجلدةُ بجلد بشري[٢]، إلا أنه بعد فحصها ثبُت أن كتابين فقط منها مجلدان بجلود الغنم[٣]، أما الأول فهو ترجمة فرنسية لكتاب "مسخ الكائنات"[♣] لأوفيد Metamorphoses of Ovid's تعود لعام ١٥٩٧م، ومحفوظه الآن فى مكتبة كاونتواى Countway بجامعة هارفارد[٤]، والثانى كتاب "أسئلة عملية حول القانون الملكي الأسباني" Practicarum quaestionum circa leges regias Hispaniae وهو عبارة عن دراسة حول القانون الأسباني نُشرت بداية القرن السابع عشر[٥]، ومحفوظ الآن فى مكتبة كلية القانون بالجامعة[٦]، وذلك على الرغم من وجود عبارة "مغلفة بجلد بشري" فى حاشيته طبقا لما ذكرته مجلة هارفرد كريمسن Harvard Crimson، أما الكتاب الذى تم التأكد من أنه مجلد بجلد بشري بالجامعة فهو "مصير الروح" "Des Destinées de L'Ame" ويحوى خواطر الكاتب والروائي الفرنسي أرسين أوساييه Arsène Houssaye حول الروح البشرية[٧].

٣/٢ مصادر الجلد البشري ودوافع استخدامه فى تجليد الكتب:

قد يعتقد البعض أن عملية التجليد باستخدام جلود البشر كانت إجبارية أو تمّت كنوع من العقاب فقط، إلا أن هذه ليست كل الحقيقة؛ فالفاحص للكتب المُجلدة بجلد البشر سيجد أنها غالباً ما تكونً على صلةٍ وثيقة بالمحتوى[٨]، إذ حرص بعض المُجلدين، وكذا المؤلفين على الاحتفاظ بقطع معينة من الجلود البشرية لتتناسب وبعض نصوصهم الجنسية[٩]؛ فقد كان إيوان بلوك Iwan Bloch من أكثر الشخصيات استخداما لأثداء النساء - بعد دبغها- كأغلفة للكتب الشهوانية التى تتضمن صورًا إباحية، حتى إن أشهر القصص المنتشرة عن تجليد الكتب بالجلود البشرية فى العصر الوسيط وبداية عصر النهضة أخذت منحىً إباحياً[١٠]، كما سبق وأن أردف الباحث.

تعددت مصادر الحصول على الجلد البشري وكذا دوافع استخدامه فى تجليد الكتب، وهذا ما يستعرضه الباحث فى النقاط التالية:

١. استُخدمت جلود المجرمين المُتهمين بالقتل الذين يتم اعدامهم لتجليد سِجلات محاكمتهم، وأول مثال لذلك تجليد قاموس صامويل جونسون Samuel Johnson فى جلد مجرم يدعى جيمس جونسون[١١]. هذا بالإضافة إلي جمع وتجليد اعترافات المجرمين فى جلود المتهمين السابقين لهم[١٢].

٢. طَلب البعضُ تخليد ذكراهم على هيئة كتاب مُجلد بجلودهم؛ كى تُصبح تذكاراً لأحبابهم وعوائلهم[١] وكذا الاحتفاظ بجلودهم وحمايتها من الإندثار والتحلل وعرفوا بالمتبرعين Donors[٢]، فالكثير من

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.119.
(2)Flood, Alison. Op. Cit.
(3) Bound in human skin. Op. Cit.

(♣) قام الروائي ثروت عكاشة بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية عام ١٩٩٢م.

(4) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(5) Flood, Alison. Op. Cit.
(6) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(7) Flood, Alison. Op. Cit.
(8) Johnson , M.L. Op. Cit.
(9) Veronese, Keith. Op. Cit.
(10) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.95.
(11) Archer, Caroline. Op. Cit.
(12) Bound in human skin. Op. Cit.

الكتب جُلدت بجلود أناسٍ بُناء على وصية أخيرة مكتوبة أو شفهية، ورُغم أن الأسباب الكامنة وراء ذلك لا يمكن التوصل إليها أبدا[٣] فمن المحتمل أن جيمس جونسون، وجون هوروود John Horwood، ووليام كوردر لم يوافقوا على التبرع بجلودهم، وعلى النقيض هناك جورج والتون Goerge Walton قاطع الطريق الذى أوصى قبل إعدامه شنقاً أن تُجلد نسخة من مذكراته وتُعطى إلى أحد الأشخاص الذى قاومه بشجاعة عند محاولة والتون سرقته[٤]. ويُعطى تومبسون Thompson مثالًا للمتبرعين أيضا إذ يقول:[٥]

"لعل المجلد الأكثر إثارة للدهشة هو كتاب مُجلد بجلد إرنست كوفمان Ernst Kauffmann وهو شاب ألماني كان يدرس القانون عام ١٨١٣م، فقد يأس من احتمالية وصوله للشهرة والمال ككاتب، ومن أجل تخليد ذكراه بين الأجيال التالية قام بطباعة حوالي مائتى ورقة ووضع لها عنوان "الأعلام المائتان الأكثر شهرة" Two Hundred Well-known Men وأوصى بتجليدها بجلده بعد وفاته".

٣. وفرت مشارح كليات الطب أجساد المرضى الذين قضوا نحبهم فى الملاجئ كأحد سُبل الحصول على الجلد البشري[٦]، ولكن ليس من الواضح ما إذا كانوا يعلمون بما سيحدث لأجسادهم أم لا، فغالباً ما يكون الجلد لمريض فقيرٍ لن يسأل ذووه عن جسده بعد وفاته، فقد كان يتاح للأطباء على سبيل المثال الحصول على الجلد البشري لاستخدامها فى دراستهم، وأحيانا من المحكمة التى كانت تُحوِل المحكوم عليهم إلى المشرحة[٧].

٤. أُخذت الجلود المستخدمة فى تجليد الكتب جَراء نبش القبور وسرقتها، وخاصة الجثث التى لم تتحلل بعد[٨]، على نحو ما كان يفعل وليام بيرك، وهذا ما سيتضح لاحقاً.

٥. عُرف فى الحقبة التى ظهرت فيها ممارسة التجليد باستخدام الجلدي البشري أن أعراقًا معينة كالزنوج الأمريكان أقل منزلة من البيض، فيما يُعرف بالتفرقة العنصرية مما يعنى - من وجهة نظر هؤلاء البيض العنصريين - أن عملا مُجلداً بجلد مريض زنجي مثل: كتاب جوزيف ليدى Joseph Leidy "دراسة أساسية لتشريح الجسد البشري" An Elementary Treatise of Human Anatomy كان أمراً مقبولاً[٩]. وهذا ما حدث أيضا حينما أُخذ الجلد المستخدم فى تجليد نسخة من كتاب"لينكولن كما لم تعرفه من قبل"Lincoln the Unknown المنسوب لديل كارنيجى Dale Carnegie من أحد الزنوج فى مستشفى بالتيمور Baltemore، ودُبغ بواسطة شركة جيويل بيلتينج Jewell Belting Company، ويعد هذا الكتاب جزءًا من مجموعة تشارلز بلوكسون Charles L. Blocks المحفوظة فى جامعة تيمبل Temple[١٠].

(1) Madrigal, C Alexis. Science Confirms: Yup, This Book Really Is Bound in Human Skin: New tests prove what librarians have long believed: this book's cover is made of human. Available at: <https://www.theatlantic.com/technology/archive/2014/06/science-confirms-yup-this-book-really-is-bound-in-human-skin/372163/>. Cited in: <13-5-2017>.
(2) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(3) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.2.
(4) Archer, Caroline. Op. Cit.
(5) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.55.
(6) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(7) Johnson , M.L. Op. Cit.
(8) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.120.
(9) Ibid. P. 123.
(10) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

٤/٢ دباغة الجلد البشري وأماكن ممارستها، ومُجلدوا الكتب بجلود البشر:

١/٤/٢ دباغة الجلد البشري:

يُعد ويليام هارفى William Harvey أول من قدم معلومات مؤكده حول دباغة الجلد البشري، وكان ذلك فى نهايات القرن التاسع عشر، إذ قدَم جزءاً مدبوغاً من جلد بشري غير معلوم إلى كلية الأطباء بفلادلفيا لاستخدامه فى الأبحاث العلمية حول الجلود البشرية المدبوغة، إلا أن أول من درس فعلياً جلود البشر المدبوغة ووضعها مَوضع التطبيق العملي فيدعى أنتونى أسكيو Anthony Askew (١٧٢٢م-١٧٧٣م) وهو طبيب ومُحب للكتب، فقد استخدم الجلد البشري فى تجليد كتابه "دراسة التشريح" Traite d'anatomie، أما الطبيب الإنجليزي جون هانتر John Hunter (١٧٢٨م- ١٧٩٤م) فقد قام بتجليد كتابه "أطروحة عن الأمراض الجلدية" Die Hautkrankheiten und ihre Behandlung بجلد بشري مدبوغ بطريقة صحيحة[١].

وتَكمُن المشكلة الأساسية للدباغة Tanning فى محاولة التحقق من أغلفة الكتب المشكوك فى صناعتها من جلد البشر؛ إذ أنها حطمت المادة الجينية التى تساعد على معرفة الحمض النووي للجلود التى صُنعت منها، ومن ثم فإنه فى بعض الأحيان يصعُب تحديد ما إذا كان الكتاب مجلداً بجلد بشري أو غيره من الجلود المشابهة[٢]، فلابد وأن تكون تلك الكتب محفوظة فى مكان آمن، ومحتفظة بخصائصها الأساسية[٣]. إذ ترتبط دباغة الجلد، وكذا طريقة حفظه ارتباطاً وثيقا بنجاح أو فشل التحقق من أغلفة الكتب المجلدة بجلد البشر فى العصر الحديث، حيث يمر الجلد البشري ببعض المراحل التى تؤهله لأن يكون جاهزا للتجليد، وتنطوى عملية الدبغ فى الأساس على مرحلتين أساسيتين وهما سلخ الجلد، ثم دبغه كأى جلد آخر[٤]. وقدد حدد جاكوب جوردان[٥] العمليّة التى تمر بها البشرة لتصبح جلدًا مدبوغاً بقوله

"إن بشرة الإنسان قد تُصبح ورقًا نفيسًا إن تمّت معالجتها بحامض الليمون وفركِها، وقد تصبح جلدًا مرناً إن تمّ دبغه، وفى حالة الجلد المعتمد على الدبغ، فبشرة الإنسان تَسمُن ثم تصبح ناعمة ومرنة، ويتم نقعها فى محلول قوى من الشّبّة Alum والزاج الرومانى Roman Ritual (حمض الكبريتيك)، ومِلح الطّعام، ويتم تجفيفها ثم التجليد بها، ويمكن بالطبع أن تُلوّن أو تصبغ"

وإلى جانب الدباغة رُمِمَت الكتب المجلدة بجلد البشر؛ على نحو ما يلاحظ فى أحد الإصدارات الثلاث لكتاب "رقصة الموت"؛ إذ قام جوزيف زيندورف Joseph Zaehnsdorf - أحد خبراء ترميم الكتب فى لندن- بترميم غلاف الكتاب مستخدما جلداً بشرياً، والدليل على ذلك ما قيل فى مذكرةٍ يُفهم من فحواها أن جوزيف لم يكن لديه جلدٌ بشري كافٍ لترميم الكتاب، مما اضطره إلى تقطيع ما توفر لديه من جلد بشرى، مستخدما إياه فى صُنع الغِلاف الأمامي مُضافا إليه رقعة من ورق وَعِر يشبه فى طبيعته ورق السنفرة، أما كعب الكتاب وغلافه الخلفي فصُنعا من طبقة جلدية داخلية تبدو كجلد الظباء،[٦] كما دُبغ جلد قاطع الطريق وليام بيرك واستخدم جزء منه فى صناعة محفظة لكتب الدراسة التشريحية فى إدنبره، وجزءٌ آخر أهداه ناشر محاكمته إلى أصدقائه.[٧]

(1) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.97.
(2) Veronese, Keith. Op. Cit.
(3) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.125.
(4) Boeni, Meg. The Bizarre Art of Binding Books in Human Skin. Available at: <http://mentalfloss.com/article/51634/bizarreartbindingbookshumanskin>. Cited in: <12-5-2017>.
(5) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.127.
(6) Johnson , M.L. Op. Cit.
(7) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.96.

٢/٤/٢ أماكن الدباغة:

يستعرض الباحث الأماكن التى مورست فيها عملية دباغة الجلد البشري، فى بعض من المدن التى كان مهداً لتلك الممارسة وحاضنة لها، وذلك على النحو التالي:

١. لاحت ضاحية ميدون الفرنسية كإحدى المراكز الأساسية لدباغة ومعالجة الجلود البشرية فى فرنسا أبان الثورة الفرنسية، نتيجة للصراعات التى وفرت الجثث البشرية بكثرة وباستمرار، وتقع هذه الضاحية على تلةٍ تُطل على مدينة باريس، فقد استولى لويس الرابع عشر Louis XIV (1638م-١٧١٥م) ملك فرنسا عليها فى عام ١٦٩٥م لتُصبح مقرًا لإقامة ابنه لويس الخامس عشر Louis XV (١٧١٠م-١٧٧٤م)، واستخدمها كاستراحةٍ للصيد، إلا أنه فضّل أخرى تاركًا خلفه ميدون خالية، وأبان فترة حكم لويس السادس عشر Louis XVI (1754م-1793م)، ومع اندلاع الثورة الفرنسية حُرمت العائلة الملكية من كل ممتلكاتها، بما فيها تلك الضاحية التى ساءت حالتها تماما، إلى أن تحولت إلى مركز لدباغة جلود البشر[١].

٢. مدينة مونستر Münster الألمانية، فقد جَلد أحد الجراحين العسكريين –خلال إقامته فيها- إحدى النسخ من "كتاب رقصة" الموت لهولبان Holban[٢].

٣. مستشفى فيلادلفيا العام القديم – أسست مكانها الآن مستشفى فيلادلفيا للأطفال- وتقع على بُعد بضع بنايات من الحرم الجامعي.

٤. مستشفى بنسلفانيا القديمة، فقد أشارت هارتمان Hartman مفهرسة الكتب النادرة فى المكتبة الوطنية للطب بميريلاند إلى أن الجلد البشري دُبغ فيها، إذ قالت "كان هناك بالتأكيد بعض الأطباء الذين تخرجوا فى كلية الطب بجامعة بنسيلفانيا Pennsylvania، وعملوا بمستشفاها، وقاموا بدباغة الجلد البشري فى قَبْوِها"، مثل: السيد دبليو كليفورد Sir W. Clifford الذى دبَغ جلد جورج كادمور George Cudmore وصبغه، ثم جَلّد به نسخة من الأعمال الشعرية لجون ميلتون تعود لعام ١٨٥٢م[٣].

٣/٤/٢ مجلدو الكتب باستخدام جلد البشر:

يسرد الباحث فيما يلى بعض أسماء مجلدى الكتب بجلد البشر، وذلك على النحو التالى:

١. بول رومين راباليه Paul-Romain Raparlier: ويوصف بأنه سيد فن تجليد الكتب الفرنسي، كما أنه من أبرز مُجلدى الكتب باستخدام جلد البشر، فكتاب "رقصة الموت" أحد أعماله الفنية المتميزة[٤].

٢. جون ستوكتون هوج John Stockton Hough (١٨٤٥م-١٩٠٠م): نشأ فى ضاحية باكس كاونتي Bucks County، بولاية بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل طبيباً بكلية الأطباء بفيلاديلفيا، وقام بتجليد ثلاثة من خمسة كتب موجودة فى تلك المكتبة، فقد أخذ جلد الغلاف من السيدة مارى لينش Merry Lynch التى شَخّصَ مرضها كأول حالة مصابة بمرض العدوى الطفيلية لدودة الخنزير فى فيلادلفيا[٥]. وساعده على ذلك عمله منذ عام ١٨٦٨م حتى عام ١٨٧٤م كطبيبٍ مقيمٍ فى

(1) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.
(2) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(3) Schwartz, Jason. The Daily Pennsylvanian | Classic texts in the flesh. Available at: <http://www.thedp.com/article/2006/01/classic_texts_in_the_flesh#comment8900>. Cited in: <12-5-2017>.
(4) Smithers, Leonard: Human Skin Binding. Available at: <http://callumjames.blogspot.com/2009/05/leonardsmithershumanskinbinding. html> cited in: <13-5-2017>
(5) Schwartz, Jason. Op. Cit.

مستشفى فيلادلفيا العام، فخلال تلك المدة قام بتشريح جثة "لينش" المتوفاة فى ١٦ من يناير عام ١٨٦٩م، حيث أزال قطعة جلدٍ من فخذها، وحفظها خِلسةً ودبغها فى غرفة بالطابق الأرضي للمشفى[(١)]. ويروى بيث لاندر Beth Lander أخصائي المكتبات بجامعة فلاديلفيا كيف قام بذلك، قائلا:[(٢)]

" التحقت مارى بملجأ لرعاية الفقراء فى فيلادلفيا عام ١٨٦٨م، إذ كانت تعانى من مرض السل الرئوي، وساءت حالتها بعدما أحضر إليها أصدقاؤها بعض منتجات لحم الخنزير خلال فصل الصيف ذو الحرارة المرتفعة ولأن اللحم كان ملوثًا؛ تُوفيت مارى بعد هذه الواقعة بستة أشهر وتحديدا فى السادس عشر من يناير ١٨٦٩م. ولأسباب غامضة قام هوج أثناء تشريح الجثة بسلخ جزء من جلدها ودبغه. وبعد ذلك بعقدين استخدم الجلد لتجليد ثلاثة كتب تتناول صحة المرأة، ورغم الوصف الدقيق الذى ألحقه هوج بكُتبه والذى قاد الباحثين مباشرة إلى مارى صاحبة الجلد، إلا أن أسباب هوج لفعل ذلك مازالت غامضة"

واستخدم هوج (شكل،٢) جلد مارى فى تجليد كتاب "الأخبار المكتشفة حول جميع أجزاء جسم الرجل والمرأة" Les Nouvelles decouvertes sur Toutes les Parties Principales de L'homme, et de la femme للويس بارلز Louis Barles's عام ١٦٨٠م، وكذلك كتاب "أسرار التجارب المختلفة للمرأة مع المرض" Recueil des Secrets; Auquel Sont Contenues Ses Plus Rare Experiences Pour Diverses Maladies, Principalement des Femmes, Avec Leurs Embelissement للويس بروجيس Louise Bourgeois عام ١٦٠١م، هذا بالإضافة إلى كتاب "تكهنات ظهور التخصيب عند الإناث" Speculations on the Mode and Appearances of Impregnation in the Human Female لروبرت كوبر Robert Couper's، وسَجّل هوج فى كل كتاب اسم "مارى" تاركًا لقبها غير مكتوب، ولم تُجلد أى من هذه الكتب إلا فى عام ١٨٨٧م، أما كتاب De Concepitone Adversaria; Disce, Homo, de Tenui Constructus Pulvere, Quae te Edidit in Lucem Conditions Deus لتشارلز دريلنكوت Charles Drelincourt، فقد استخدم هوج فى تجليده ذراعاً موشوماً لمريض آخر تُوفى فى مستشفى فيلادلفيا عام ١٨٦٩م، ويضاف إلى الكتب السابقة إصدارة مكونة من مجلدين وُسِما بـ "قائمة العلوم الطبية" للمكتبة الدولية Catalogue des Sciences Médicales by the Bibliothèque Nationale وعلى الرغم من عدم وجود ملاحظة عن مصدر الجلد المستخدم فى تجليد هذه الإصدارة إلا أنها بالفعل جُلدت بجلد بشري فى يناير ١٨٨٨م[(٣)].

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.123.
(2) Meier , Allison. The Macabre Practice of Binding Books in Human Skin. Available at: <https://hyperallergic.com/242677/themacabrepracticeofbindingbooksinhumanskin/> Cited in: <13-5-2017>.
(3) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.126.

شكل (٢) جون ستوكتون هوج

جوزيف ليدى: تحمل معامل ليدى للأحياء اسم جوزيف ليدى (شكل،٣) الذى عمل كأستاذ للجراحة فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة أربعين عاما، فقد تخرج من قسم التشريح فى كلية الطب ببنسلفانيا عام ١٨٤٤م، وشغل منصب العميد فى ذات الكلية من ١٨٧٧م حتى عام ١٨٨٨م، وقام ليدى بتجليد نسخة من "دراسة أولية لتشريح جسم الإنسان" An Elementary Treatise on Human Anatomy فى جلد بشري مأخوذ من جثة جندي، وطبقًا لهارتمان "فقد خدم ليدى كطبيب خلال الحرب، وغالبًا فالجلد لأحد مرضاه".[(١)].

شكل (٣) جوزيف ليدى

١. مارسيلين لورتيك Marcelin Lortec: كاتب وروائي فرنسي قام بتجليد دراسة سيفيرين بينو Séverin Pineau "علامات طهارة ودناسة العذارى" Treatise on virginity, pregnancy and childbirth (De Integritatis et Corruptionis Virginum Notis) فى عام ١٦٦٣م مُستخدماً الجلد المدبوغ بمادة السماق Sumac والمأخوذ من جسد امرأة.[(٢)].

٢. سى إيجلتون C. Egelton: مُجلدُ كتبٍ فرنسي أعاد تجليد "الأعمال الشعرية لروجرز وكامبل وجاى مونتغومرى ولامب وكيرك وايت" The Poetical Works of Rogers, Campbell, J. Montogomery, Lamb and Kirke White قبل عام ١٨٩٠م، فقد وُجِدَ ملصَقٌ صغيرٌ يحمل

(1) Schwartz, Jason. Op. Cit.
(2) Archer, Caroline. Op. Cit.

اسمه فى صفحة العنوان الداخلية، يضاف إلى ذلك تجليد كتاب "مصير الروح" بجلد بشري مأخوذ من جثة مجهولة لمريضة ماتت إثر سكتة دماغية بواسطة الطبيب وجامع الكتب البارز لودويك بولاند."[١].

٣. جوزيف زينسدورف Joseph Zaehnsdorf (١٨١٤م-١٨٨٦م): مُجلدُ كتب نشأ فى بريطانيا، حيث بدأ تلك المهنة في الخامسة عشرة من عمره، وانتقل بين الكثير من المدن محترفاً هذه المهنة إلى أن استقر به المقام فى لندن عام ١٨٣٧م، إذ عمل فى شركة ويستلى Westley، ثم أسس متجرًا خاصًا به فى عام ١٨٤٢م[٢]. كتب زينسدورف إلى تاجر الكتب إل. دبليو. بانجز L. W. Bangs's بخصوص تجليد إحدى النسخ من كتاب "رقصة الموت" بجلد بشري، قائلاً [٣]:

سيدى المبجّل:

"نسخة كتاب رقصة الموت التى بِعتها لك منذ فترة قصيرة مغلّفة بجلد بشري. وللأسف نظرًا لأن الكتاب كبير ومادة التجليد هزيلة جدًا، فقد أُجبِرت على تقسيم الجلد إلى نصفين: وكانت النتيجةإن الجزء الناعم من الجلد استخدم فى تجليد الغلاف الأمامي، أمّا الجزء الخشن غير المصقول فاستخدمته فى الغلاف الخلفى. وبالطبع فإن مادة تجليد هذا الكتاب هى من نفس مادة الجلد"

المخلص لك، زينسدورف

٥/٢ الأطباء وجامعوا الكتب:

١/٥/٢ الأطباء:

كان تشريح الجثث البشرية خلال القرن الثامن عشر للحصول على معلومات طبية من الممارسات الشائعة التى نتج عنها خضوع الكثير من سجلات المحاكم الإجرامية، وكُتب الطب الدراسية للتجليد بجلود البشر، فقد شرَّح الجراحون جثث المجرمين المعدومين، وكذا أوعذوا إلى نابشى القبور لجلبها إليهم بطريقة غير مشروعة؛ لكن المواطنين لم يقبلوا بذلك إيماناً منهم بأنها يجب أن تُترك لترقد فى سلام.[٤]، فقد رأى بعض الأطباء المتخصصين فى التشريح أنه من المناسب صُنع بعض أغلفة الكتب من جلود الموتى[٥]، واعتقد الجراحون أن كتبهم الطبية ما هى إلا انعكاس لعلمهم وخبرتهم؛ فتجليد الكتب بجلود الأشخاص الذين خضعوا للتشريح وأسفر تشريحهم عن الاكتشافات الطبية للطبيب الجراح؛ أضاف عمقًا لطبيعة محتواها[٦].

وبعيدًا عن كون الثورة الفرنسية مصدرًا حيويًا للجلود البشرية، إلا أنها كانت بمثابة نقطة تحول فى تطور علم الطب، فقبل نشوبها اقتصرت مهنة الطب على أبناء الطبقات الأرستقراطية، كما حصلت الطبقات المتوسطة على الرعاية الطبية فى بيوتهم وبين أفراد أسرهم، أما الفقراء والمعدومين فحصلوا على رعايةٍ طبية متواضعة فى المستشفيات التى ترعاها الكنيسة الكاثوليكية، وأبّان تحول الفرنسيين نحو العلمانية أثناء الثورة وبعدها، وضعوا نُصب أعينهم ضرورة رفع المستوى الطبي للمواطن الفرنسي بتوفير أكبر قدر من الرعاية الطبية، وهو الأمر الذى تطلب الكثير من التدريبات العملية للأطباء، وهو ما تم بالفعل، إذ قضى الأطباء كثيراً من الوقت بجانب المرضى فى أسِرّتهم؛ ووضعوا فى تلك الفترة أُسس

(1) Flood, Alison. Op. Cit.
(2)Gertz, Stephen J. The Mark of Zaehnsdorf. . Available at: <http://www.booktryst.com/2011/10/mark-of-zaehnsdorf.html>. Cited in: <20-1-2018>
(3) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.94.
(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.25.
(5) Lavelle, Judith . Op. Cit.
(6) Veronese, Keith. Op. Cit.

التجارب السريرية، خاصة مع تطور الأدوات التشخيصية مثل: السَّماعات الطبية، وصارت تلك التجارب نبراسًا للتعليم الطبي فيما بعد فى الغرب كله، إلا أنه من المؤسف أن تلك التجارب أسهمت فى النظرة الدونية للمرضى وخاصة الفقراء الذين خضعوا لها، ولعل الكتب المجلدة بجلد البشر كانت نتاجاً لتلك الحالات التى وافتها المنية أبان استعمالهم كفئران تجارب، وصارت جلودهم المادة الخام لتجليد كتب الأطباء، فقد أزالت تلك الممارسة بشرًا، وحقوقًا لم يكن يُتخيل أن تُنتهك بهذا الشكل الصارخ[١]، فقد كان الجلد البشرى بالنسبة للأطباء مادة رخيصة.[٢] كما سبق وأن أشار الباحث آنفًا.

ولأن الأطباء لديهم فرص منقطعة النظير للحصول على جلود البشر، فليس من الغريب أن معظم الكتب المجلدة بجلد البشر هى لكتبهم الطبية الشخصية، أو لكتب جلدت بإيعاز منهم[٣]. فأغلب الكتب المُجلدة بجلود البشر هى نِتاج لممارسى مهنة الطب والجراحين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[٤]. ففى تلك الحقبة تُرقى الأطباء اجتماعيا من طبقةٍ إلى أخرى وتمتعوا بثراء ووضع اجتماعي متميز مثل:

١. أندريا فيساليوس Andreas Vesalius (شكل، ٤): جراح شهير ينحدر من عائلة معظمها من الأطباء والجراحين، ولد فى بروكسل Bruksil بالأراضي المخفضة Nither land (بلجيكا Belgium الآن) عام ١٥١٤م، وتُوفى فى جزيرة زاكينثوس Zacynthus (توجد فى اليونان Greece الآن) عام ١٥٦٤م، درس فى كلية الطب بباريس، وتعلم تشريح الحيوانات قبل أن يقوم بتشريح الأجساد البشرية، كما كرس الكثير من وقته فى دراسة العظام البشرية. أحدثت كتاباته ثورة فى علم الأحياء وكذا علم الطب بوصفه الدقيق لتشريح جسم الإنسان[٥]، فقد وضع الكتاب الأول فى علم التشريح بعنوان "جسم الإنسان" "De humani corporis fabrica".[٦]

شكل (٤) أندريا فيساليوس

٢. أوجستين كابانييه Augustin Cabanès: الذى التحق بكلية الطب عام ١٨٨٠م في بوردو Burdu بفرنسا، وبعد تخرجة بعدة سنوات شغل منصب سكرتير الجمعية الطبية التاريخية، ويُعد من الشخصيات البارزة فى تاريخ الطب الفرنسي، وإلى جانب دراسته للطب فقد درس الصيدلة أيضا، وسرعان ما ذاع صيته فى فرنسا مما أهله لرئاسة العديد من الهيئات العلمية، وكتب العديد من المقالات الطبية التى تُعد علامة بارزة فى تاريخ الطب[٧]. قام كابانييه (شكل، ٥) بفحص كتاب علم

(1) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.
(2) Johnson , M.L. Op. Cit.
(3) Archer, Caroline. Op. Cit.
(4) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(5) Florkin, Marcel. Andreas Vesalius: Belgian Physican. Available at: <https://www.britannica.com/biography/Andreas-Vesalius >. Cited in: <20-1-2018>
(6) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.
(7)Carnoy, Henry; De Beaurepaire-Froment, La Tradition, Paris, Aux bureaux de la Tradition, 1904, p. 171-75.

الطب La chronique medicale الذى خضع للكثير من المناقشات فى كونه مُجلد بجلد بشري أم لا، فمن ضمن شخصيات الكتاب الرئيسة -والواقعية فى نفس الوقت- كاميل فلاماريون Camille Flammarion، أحد المتخصصين فى الأبحاث الفلكية، وامرأة أخرى لقبت بالكونتيسة الشابة، وطبقًا للرواية التى تسرد قصة هؤلاء الأشخاص الحقيقيين، تُوفيت الكونتيسة فى شبابها جراء إصابتها بمرض السل، ونظرًا لأنها عشقت فلاماريون وأرادت أن تُبدِى له هذا؛ فقد أوصت بأخذ قطعةٌ من جلد كتفها وإرسالها إليه لتجليد نسخة من أول كتاب يُنشر باسمه، وبالفعل أعجب الرجل بقطعة الجلد، وتكريمًا لوصيتها جلد نسخة من كتابه بجلدها، ومازال هذا الكتاب موجودًا فى مكتبة جوفيسى Juvisy بفرنسا منذ عام ١٩٢٥م، إلا أن كابانيه أراد التيقن من ذلك، فأرسل إلى فلاماريون رسالة، ورَدَّ عليه الأخير قائلًا [1]:

عزيزى الدكتور المحترم،

لقد اتسع نطاق تلك القصة أكثر مما يجب، ولا أعرف اسم الشخص الذى أرسل إليّ جلده عن طريق طبيبٍ أعرفه لاستخدامه فى تجليد كتابه. إن الأمر لا يتعدى كونه تنفيذ وصيةٍ لازمة. لقد نشرت بعض الصحف الأميريكية اسم الشخص، وقالوا أن صاحب الجلد كونتيسة شابة، حتى أنهم نشروا صورة لمسكنها ... كل ذلك محض هراء، لقد قام سى إنجِل بعملية التجليد كاملة، ومن ثم فأنّى لي أن أغير هذا الجلد؟ فقد اضطررت لنقل الجلد إلى مسؤول الدباغة فى طريق لو رونيه دى بلانش، واستغرق الأمر ثلاثة أشهر. أعرف أنها فكرة غريبة جدًا. ولكن قطعة الجلد هذه كانت جميلة جدًا ومن الصعب العثور عليها هذه الأيام، وأتوقع أن تبقى لقرونٍ عدة طالما يُحتفظ بها بشكل مناسب. إنها امرأة رغبت فى أن يكون جلدها غلافًا لكتابى المنشور بعد موتها.

معجبك إلى الأبد فلاماريون

ويتبين من خطاب فلاماريون أنه بالفعل قام بطريقة غير مباشرة بتنفيذ وصية الكونتيسة الشابة، إلا أن الخطاب يكشف النقاب عن الهوس بالجلد البشري وخاصة جلد النساء، فما يظهر فى نص الخطاب من اهتمام واضح بهذه القطعة من الجلد التى وصفها فلاماريون بأنها جميله ويصعب الحصول عليها فى تلك الأيام؛ إنما يؤكد أن مجرد الحصول على قطعة من الجلد البشرى "المميز" يعد مبعثا للسرور والغبطة، وحبذا إذا اقتُطع من بشرة إمراة حسناء.

شكل (٥) أوجستين كابانييه

يضاف إلى كابانيه أيضا، جون ستكتون هوج، وجوزيف ليدى فبجانب شغفهما بجمع الكتب، فقد استخدما جثث مرضاهم فى الحصول على الجلد البشري واستخدامه فى تجليد الكتب على نحو ما سبق وأن

(1) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.100.

ذكر الباحث، فقد كانت –على سبيل المثال- إحدى هوايات الطبيب جوزيف ليدى اعتياده تخليد ذكرى مرضاه بدبغ جلودهم بعد مماتهم، واستخدامها لتجليد كتبه الطبية المفضلة[١]، أما الطبيب الجراح جورج كريد George Creed فقد قام بتشريح جثة ويليام كوردر واستخدم جزءاً من جلده فى تجليد كتاب يروى جرائمه[٢]، كما سيوضح الباحث لاحقًا.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ومع قرب انتهاء القرن العشرين بدأ الكثير من الأطباء البارزين فى اظهار اهتمام واضح بتجليد الكتب باستخدام جلد البشر، فهناك على الأقل ثلاثة مجلدات فى مكتبة كلية فيلادلفيا للأطباء، إحداها لجوزيف ليدى حول كتاباته الأولى لعلم التشريح البشري"[٣]. هذا بالإضافة إلى أن جامعة بنسيلفانيا كانت هى الأخرى رائدة فى مجال الطب خلال تلك الحقبة، إذ تخرج فيها معظم دَبَّاغى الجلود البشرية طبقًا لما ذكرته لورا هارتمان[٤].

٢/٥/٢ جامعوا الكتب:

أسهم جامعوا الكتب على مر العصور أيما إسهامًا فى الحفاظ عليها، وتعاظم دورهم حينما تبرعوا بما يمتلكونه منها إلى المكتبات، أو أوعذوا إلى ورثتهم القيام بذلك فى وصاياهم، مثلما فعلت أرملة جون ب. ستيتسون Gohn B. Stetson -المالك الثانى لإحدى النسخ الثلاث لكتاب "مصير الروح"- إذ قدمت النسخة التى تمتلكها من الكتاب إلى مكتبة هوتون بجامعة هارفارد عام ١٩٥٤م تقريباً[٥].

فلولا الدور المحمود الذى قام به هؤلاء الهواة، لما اكتُشفت معظم الكتب التى تبين أنها مجلدة بجلد بشري فى العصر الحديث، ففى القرون التى دُبغت فيها الجلود البشرية كانت أفضل المكتبات تعود ملكيتها لهؤلاء الهواة. فضلا عما ذكره جونسون Gohnson[٦] من أن الكثير منهم امتهنوا الطب وخاصة التشريح؛ ما ساعدهم فى الحصول على الجلود البشرية دون عناء.

وتسوق الأحداث التاريخية لممارسة تجليد الكتب باستخدام جلد البشر الكثير من أسماء جامعي الكتب ممن كانت لهم علاقة مباشرة بتجليدها، ليس هذا وحسب بل إن بعضهم قام بعمليات التجليد والدباغة والصِباغة بنفسه، مثل:

١. دبليو كليفورد: جامع الكتب وبائعها الذى جَلَّدَ كتاباً بجلد القاتل جورج كادمور[٧].
٢. ويليام إيستون William Easton: جامع الكتب الذى امتلك ثلاثة من الكتب المغلفة بجلد البشر، وكلها موجودة الآن فى مكتبة جون هاى بجامعة براون، إذ حصلت عليها المكتبة فى ستينيات القرن العشرين[٨].
٣. ليونارد سميثرز Leonard Smithers (شكل، ٦): ناشر وبائع للكتب، ومُلحدٍ، ومُروج للكتب الإباحية[٩]، وُلد ونشأ فى شيفيلد بإنجلترا، وما إن اكتساب خبرة فى نشر الكتب؛ أسس داراً للنشر

(1) Boeni, Meg.Op. Cit.
(2) Archer, Caroline. Op. Cit.
(3) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.99.
(4) Schwartz, Jason. Op. Cit.
(5) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.128.
(6) Johnson , M.L. Op. Cit.
(7) Milton's poems bound in murderer skin on display. Available at: <http://www.thehistoryblog.com/archives/9990>. Cited in: <12-5-2017>.
(8) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.125.
(9) Symons, Arthur. Savoy History. Available at:<http://www.savoy.abel.co.uk/1history.html>. Cited in: <13-5-2017>.

تخصصت فى نشر الأعمال الأدبية الإباحية، وهو من الناشرين الكُتُّر الذين وُجد فى مجموعاتهم كتباً جُلدت بجلد البشري، وأعلن إفلاسه عام ١٩٠٠ ثم تُوفى عام ١٩٠٧[١].

شكل (٦) ليونارد سميثرز

بيرت سميث Burt Smith: جامع كتب تبرع بكتابٍ إلى جامعة سينسناتى فى خمسينات القرن العشرين، وهو عبارة عن مجموعة من القصائد مُجلدة معا بجلد بشري، فقد امتلك سميت ثلاث نسخ من هذه القصائد مغلفة بجلد بشري، وبجانب تبرعه بواحدة إلى جامعة سينسناتي، تبرع بالنسختين الأخريين إلى كل من مكتبة سينسناتى العامة، وجامعة روتجرز بولاية نيوجيرسى، وتضم هذه النسخ مجموعة القصائد التى كتبتها الشاعرة الأمريكية فيليس ويتليPhillis Wheatley.[٢].

٦/٢ جهود العلماء فى التحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر:

١/٦/٢ مشروع التحقق من تجليد الكتب بجلود البشر:

دشن أربعة أشخاص من المهتمين بظاهرة تجليد الكتب بجلد البشر (ملحق الدراسة، ١) موقعاً إلكترونيا عبر شبكة الويب[٣] فى أكتوبر ٢٠١٥م، وأخذوا على عاتقهم مهمة التحقق من الكتب التى يُحتمل أن تكون مُجلدة بجلد البشر، وأطلقوا على مهمتهم "مشروع التجليد بجلود البشر" The Anthropodermic Book Project، وهو عنوان الموقع الإلكتروني أيضا.

يشتمل الموقع على إحصائية بالكتب التى يُحتمل أن تكون مجلدةٌ بجلد البشر على مستوى العالم، وفى تقريرين مختلفين لكل من شهر إبريل عام ٢٠١٦[٤]، وشهر أغسطس عام ٢٠١٧م[٥] يتبين تطور أعداد الكتب التى زُعم بأنها مجلدة بجلد البشر، على نحو ما يُلاحظ فى الجدول التالي:

(1) Nelson, Games G. Publisher to the Decadents. Leonard Smithers in the Careers of Beardsley, Wilde, and Dowson Avialable at:
<http://www.psupress.org/books/titles/0-271-01974-3.html> Cited in: <20-1-2018>.
(2) Goldschmidt, Ben. Op. Cit.
(٣) رابط موقع المشروع على شبكة الويب هو <https://anthropodermicbooks.org/> تمت الزيارة فى: <2-12-2017>.
(4) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(٥) عداد الكتب بموقع مشروع تجليد الكتب بجدل البشر < https://anthropodermicbooks.org/ >.
تمت الزيارة فى <<3-12-2017>>.
(♣) هى تقنية تحليلية لتحديد العناصر المكونة لمادة أو جزيء ما، ويستخدم أيضا لتوضيح البنى الكيميائية للجزيئات، مثل البيتيدات والمركبات الكيميائية الأخرى. والبيتيد عبارة عن حامضين أمينيين أو أكثر مرتبطين مع بعضهما برابطة ببتيدية.

جدول (١) تطور أعداد الكتب فى مشروع تجليد الكتب بجلد البشر

المتغير	أبريل ٢٠١٦م	أغسطس ٢٠١٧م	حجم الزيادة
عدد الكتب التى زُعم بأنها مجلدة بجلد البشر.	٤٧	٤٨	١
عدد الكتب التى فُحصت بالفعل.	٣٠	٣٢	٢
عدد الكتب المغلفة فعلياً بجلد البشر.	١٧	١٨	١
عدد الكتب المستبعدة.	١٢	١٤	٢

وبتحليل الجدول السابق يتبين تطور أعداد الكتب التى زُعم بأنها مجلدة بجلد البشر من ٤٧ كتاباً عام ٢٠١٦م، إلى ٤٨ كتاباً عام ٢٠١٧م؛ فأعدادها فى ازدياد مستمر حتى وإن كان هذا الازدياد طفيفاً أى بواقع كتاب واحد خلال عام كامل تقريبا. كما ازدادت أعداد الكتب التى فُحصت وتم الفصل فيها بالفعل من ٣٠ كتاباً عام ٢٠١٦م إلى ٣٢ كتاباً عام ٢٠١٧م. ويلاحظ أيضا ارتفاع أعداد الكتب التى تم التأكد من أنها مغلفة بجلد البشر من ١٧ كتاباً عام ٢٠١٦م إلى ١٨ كتاباً عام ٢٠١٧م؛ كما ارتفعت أيضا أعداد الكتب التى تم التأكد من أنها مغلفة بجلد البشر من ١٢ كتاباً عام ٢٠١٦م إلى ١٤ كتاباً عام ٢٠١٧م. ويؤكد حجم الزيادة كما هو موضح بالجدول مدى الدقة التى يتمتع بها فريق المشروع فى الإقرار بأن غلافاً ما ينتمى إلى الجلد البشري أم لا، حتى إن طالت مدة الفحص.

ويضم فريق المشروع كلاً من:

١. آنّا دودى: حاصلة على الماجستير فى علوم الطب الشرعي من جامعة جورج واشنطن George Washington، وبكالوريوس فى علم الآثار والأنثروبولوجيا من جامعة بوسطن Boston، كما تعد واحدة من علماء الأنثروبولوجيا الفيزيائية والطب الشرعي، وتعمل أمينة متحف "ماتر" إذ تُشرف على القسم الخاص بالكتب النادرة. وأسهمت آنا فى مشروع التجليد بجلد البشر أثناء فحص الكتب الموجودة بمتحف ماتر، كما إنها تقوم حاليا تتواصل مع المهتمين بتلك الظاهرة حول العالم.

٢. دانيال كيربي: حاصل على الدكتوراه فى "تحليل مطياف الكتلة"(*) من جامعة نورث إيسترن Northeastern، والماجستير فى الكيمياء الحيوية التحليلية من كلية فاسار Vassar College بنيويورك، والبكالوريوس فى الكيمياء التحليلية من كلية سيينا Siena بنييورك أيضا. بدأ كيربى عام ٢٠٠٤م فى التحقيق من قدرة تقنية تحليل مطياف الكتلة لتحليل المواد فى علوم الطب الشرعي والحياة البرية. ويتمثل دوره فى المشروع فى فحص البصمات الجماعية للببتيد فى أغلفة الكتب المشكوك من نسبتها إلى الجلد البشري، كما يقوم بالتدريب على كيفية إجراء تلك الفحوصات.

٣. ريتشارد هارك Richard Hark: ويعمل حاليا رئيسًا لقسم الكيمياء فى كلية جونياتا Juniata College فى هنتينجدون Huntingdon بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الدكتوراه فى الكيمياء العضوية من جامعة بنسلفانيا وبكالوريوس فى الكيمياء من جامعة روتشستر Rochester، وفى هذا المشروع يقوم بإجراء الاختبارات على أغلفة الكتب، إضافة إلى تحديد وشرح طريقة إجراءات الفحص فى المكتبات والمؤسسات العلمية التى يتم فيها.

٤. ميجان روسينبلوم Megan Rosenbloom: هى المدير المساعد فى مكتبة جامعة نوريس Norris الطبية فى جنوب كاليفورنيا. حاصلة على الماجستير فى علم المكتبات والمعلومات من جامعة بتسبيرج Pittsburgh، وبصفتها أمينة مكتبة طبية تهتم بتاريخ الطب والكتب النادرة، فقد سافرت حول العالم لرؤية العديد من الأمثلة للكتب المجلدة بجلد البشر، وتقوم بدور فعال فى المشروع

بتواصلها مع المكتبات المهتمة بإجراء الاختبارات والتجارب لمجموعات الكتب التى يُحتمل أن تكون مجلدة بجلد البشر، كما تقوم بالتحقق من الخلفيات التاريخية لكل كتاب.

٢/٦/٢ قاعدة بيانات الكتب المجلدة بجلد البشر:

ومن الجهود الأخرى بخلاف ذلك المشروع، ما قام به السيد جيكوب جوردون أمين مكتبة كلية جونياتا بمدينة هانتينجدون Huntingdon فى ولاية بنسلفانيا بإنشاء قاعدة بيانات تتتبع وتحصر الكتب المجلدة بجلد البشر فى المكتبات وغيرها من المؤسسات على مستوى العالم. وطبقا لقاعدة البيانات تلك، فإن متحف "ماتر" بولاية فيلاديلفيا يحتل المركز الأول بخمسة نماذج من بينها دراسة من القرن الثامن عشر الميلادي حول الحَمْلِ والولادة، يُقال أن غلافها مأخوذ جلده من فخذ امرأة(١).

مما سبق عرضه فى هذا المحور الخاص بجهود العلماء نحو التحقق من تجليد الكتب بجلد البشر؛ يؤكد الباحث على أن هناك اتجاهًا عامًا لدى المكتبات وغيرها من مؤسسات اختزان المعلومات على مستوى العالم نحو التنقيب والبحث عن الكتب المجلدة بجلد البشر، وتمثل ذلك فى بعض الجهود التى تحاول القيام بذلك مثل مشروع التجليد بجلد البشر، وذلك على الرغم من أن أعضاءه بمثابة متطوعين يقومون بهذا الجهد دون مقابل فى ظل استخدامهم للكثير من التقنيات الحديثة -المُكلفة- آملين أن تساعدهم على التوصل إلى مزيد من الكتب المجلدة باستخدام جلد البشر، هذا بالإضافة إلى قاعدة البيانات التى صُممت لحصر الكتب المغلفة بجلد البشر على مستوى العالم.

٧/٢ أدوات وطُرق فحص أغلفة الكتب والتحقق من نِسبتها للبشر:

١/٧/٢ الاشارات والدلالات Signals and Semantics:

تُمثل الإشارات والدلالات مُعيناً للفاحصين فى التحقق من كون أغلفة الكتب تنتمى لجلدة بنى البشر أم لا، واصطُلح على تسمية تلك الإشارات بكلمة "نقوش" فيما توصل إليه الباحث من كتابات حول تلك الممارسة؛ فعندما تمتلك هذه الكتب تلك النقوش؛ تُصبح أغراضاً ذات قيمة وَجِب وضعها فى مجموعات خاصّة بما أنها مغلّفة بمادة غير عادية، أو لديها معيارٌ إضافيٌ للحكم عليها، فيقرر القائمون على المكتبات إما أن تنضم إلى تلك المجموعات أم لا، وعلى الرغم من أن هذه النقوش قد تكون هى الدليل الوحيد على تجليد الكتاب بجلد البشر؛ إلا إنه لا يمكن الاعتماد عليها دائما؛ فقد تقود الفاحصين إلى معلومات مضللة.

ويسوق الباحث فى النقاط التالية نماذجًا لتلك النقوش:

١. ذُكر فى الصفحة الأخيرة من كتاب "تساؤلات عملية حول القانون الملكي الأسباني" عبارة: "أن غلاف هذا الكتاب هو كل ماتبقى من صديقى جوناس رايت Jonas Wright"، وبعد فحص الغلاف تبين أنه مصنوع من جلد الأغنام(٢).

٢. فُحص كتاب "مصير الروح" بمكتبة هوتن بجامعة هارفارد، وثبت بالفعل أنه مجلدٌ بجلد بشري مدبوغ. فبعدما جَلَّدَه لودويك بولاند؛ كتب نقشاً على غلافه جاء نصه كالتالي(٣):

(1) 160- year- old poetry book covered in human skin of murderer George Cudmore | Daily Mail Online. Available at: <http://www.dailymail.co.uk/news/article1360628/160yearoldpoetrybookcoveredhumanskinmurdererGeorgeCudmore.Html>. Cited in <<13-5-2017>.
(2) Beck, Karen. Old Books, New Technologies, and “The Human Skin Book” at HLS . Available at: <http://etseq.law.harvard.edu/2014/04/852rareoldbooksnewtechnologiesandthehumanskinbookathls/>. Cited in:<12-5-2017>.
(3)Bound in human skin. Op. Cit.

"هذا الكتاب مغلف بجلد بشري لم يُدمغ عليه أى حلية للحفاظ على أناقته. وبتدقيق النظر يمكن بسهولة تمييز مسام الجلد. فكتاب عن الروح البشرية يستحق غلافًا بشريًا: وكنت احتفظ بقطعة الجلد البشرية تلك، والمأخوذة من ظهر امرأة. انه لمن المثير للاهتمام رؤية الأوجه المختلفة التى تطرأ على هذا الجلد طبقا لطريقة التحضير التى يخضع لها. على سبيل المثال يمكن المقارنة مع كتاب آخر من مكتبتى للجراح سيفيرين بينيو، والمغلف أيضا بجلد بشري لكنه مدبوغ بالسُمَّاقُ."

١. تضم المكتبة الوطنية الأسترالية بين مجموعاتها ديواناً شعريًا يعود إلى القرن الثامن عشر وهو "الأعمال الشعرية لروجرز وكامبل وجاى مونتغومرى ولامب وكيرك وايت" فقد كتب مالكه الأول إدوارد بيثريك Edward Petherick على الصفحة الأولى نقشاً نصه: "مُجلد بجلد البشر"(١).

٢. كُتب نقش على صفحة الإهداء فى نسخة جوزيف ليدى الشخصية من كتاب "دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان" نصه: "هذا الكتاب مغلف بجلد بشري مأخوذ من جلد جندي" (٢).

٣. كُتبت بخط اليد عبارة "مغلّف بجلد بشريّ" فى أول صفحة من كتاب" الآنسة جيروه، زوجتي" "Mademoiselle Giraud, ma femme" لأدولف بيلوتAdolphe Belot(٣).

٢/٧/٢ الفحص بالبصر والشَّم Visual and Smelling Examination:

لم يكن الاهتمام بالتحقق من وجود الكتب المُجلدة بجلد البشر والإعلان عنها، قاصراً على بدايات القرن الحادى والعشرين، ففى منتصف القرن التاسع عشر طوّر الأطباء الإنجليز اهتمامهم بتلك الممارسة محاولة منهم للتحقق من المصدر الحقيقي للجلد؛ فقد اجتمع كل من: جون كويكت John Quekett مساعد أمين متحف الكلية الملكية للجراحين، والسير بنجامين برودى Sir Benjamin Brodie، والبرت واىAlbert Way، ومعهم عينات من جلود البشر يعود عمرها إلى ما يقرب من الألف عام، وحاولوا تحديد هوية تلك العينات بالفحص المجهري لبقايا الشعر المتبقى على الجلد؛ إذ كانت هذه هى الطريقة المعروفة آنذاك؛ وبناء على ذلك الفحص حدد كويكت ثلاث قطع من جلود بشرية لأشخاص من ذوى الشعر الأشقر، تبين أنها تعود للدنماركيين الذين دنسوا الكنائس فى عدد من المدن الإنجليزية مثل: وورسستر Worcester، وهادستوك Hadstock، وكبفورد Copford، وهذا ما أكده عالم الطبيعة فرانك باكلاند Frank Buckland إذ برهن على أن قطعة بشرية صلبة وجافة تم العثور عليها تحت رأس مسمار حديدي ضخم على باب كنيسة فى دير للرهبان(٤).

فقبل بداية القرن العشرين كانت الطريقة الوحيدة للتحقق من صحّة الأشياء هى الوسائل البصرية، بالإضافة إلى أدوات التكبير الميكانيكية (الفحص المجهري)،(٥). فالجلد البشري يتميز بشكله المختلف ورائحته الشمعية الغريبة التى تساعد الخبراء أحياناً على التفريق بينه وبين الجلود المزورة،(٦) كما إنه يكون متينًا ومضادًا للماء بعكس غيره من الجلود المُصَنّعة، فمن الناحية البصرية تبدو أغلفة هذه الكتب المُجلدة بجلد البشر مثل غيرها من الكتب المُجلدة بالجلد، فإن لم يكن الفاحص على علم بمصدرها فسيكون من السهل التغاضى عنها، ومن ثم لا يمكن بأى حال من الأحوال الاعتماد على الفحص البصري وحده فهو عاملٌ مساعدٌ فقط(٧).

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.126.
(2) Boeni, Meg.Op. Cit.
(3) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(4) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.98.
(5) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.119.
(6) Veronese, Keith. Op. Cit.
(7) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.130.

ومن أمثلة الكتب المُجلدة بجلد البشر التى اعتُمد على حاسة البصر فى فحصها بشكل كبير ما يلي:

١. كتاب "مصير الروح": فقد أقر العلماء والمتخصصون بأنه مُجلد بجلدٍ ببشري إذ يمكن تمييز مَسام الجلد على الغلاف؛ فكتاب عن النفس البشرية يُستحق أن يُجلد بجلد بشري[١].

٢. كتاب "دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان" المنشور فى عام ١٨٦١م، إذ يبدو الغلاف ناعماً وطرياً عند حوافه الملونة بالبيج Beige (لون صوف الخرفان)[٢].

٣/٧/٢ بصيلات الشعر Hair Follicles:

استخدمت تقنية فحص بصيلات الشعر أحياناً للتفريق بين الجلود البشرية وغير البشرية المستخدمة عادةً فى تجليد الكتب مثل جلود الثيران والغنم والماعز والخنازير، وتشمل هذه العملية اختبارًا شاملًا يصبح أصعب حسب كمية التشوهات التى تعرض لها الجلد أثناء دباغته[٣].

ومن أبرز النماذج على استخدام بصيلات الشعر فى التحقق من أغلفة الكتب ما قامت به جريس، إذ أخذت وبعض زملائها مجموعة القصائد الشعرية لجون ميلتون المشكوك فى تجليدها باستخدام جلد بشري، إلى معمل أبحاث الدباغة الخاص بجامعة سينسناتى لفحصه، كانت النتائج التى توصل إليها الباحثون فى المعمل أن كعب الكتاب وجوانبه مصنوعة بالفعل من جلد بشري، أما الباقي فمصنوع من جلد الأغنام؛ بناءًا على طريقة توزيع بصيلات الشعر، وصرحت جريس قائلة "كان سؤالنا الأول هو هل نستطيع القيام بفحص الحمض النووي لنحدد ما إذا كان هناك تطابق بين هذه النسخة والنسخة الموجودة فى المكتبة العامة بسينسناتى؟ وجاءت الإجابة بالنفى؛ فقد تم دبغ الجلد وصبغه مما ينسف هذا الاحتمال تماما، إلا أنه فى حقيقة الأمر إذا نظرت إلى غلاف الكتاب بدقة باستخدام مجهر سوف تتمكن من رؤية شعرة أطلت من داخل بصيلة."[٤]

٤/٧/٢ الحمض النووري DeoxyriboNucleic Acid (D.N.A):

يُعد الحمض النووي من الطرق الحديثة التى استُخدت فى التحقق من كون أغلفة بعض الكتب تنتمى إلى الجنس البشري أم لا، إذ يُقدم نتائج دقيقة معتمداً على الكولاجين Collagine، وهو بروتين غير قابل للذوبان، مما يجعله مقاوماً للتحلل[٥]. كما أن تكلفته قليلة نسبيا، إذ تقارب المائة دولار للعينة الواحدة، ويتم الكشف عن الحمض النووري باستخدام "جهاز ليزر" للتعرف على المادة المستخدمة فى تجليد الكتب، بحيث تُؤخذ عينة بسيطة من الغلاف لتحليل الكولاجين الموجود بها للتعرف على البروتينات المكونة له، والتى تُعبر عن نوع الكائن الحى المأخوذ منه هذا الجلد، كما يتعرف الجهاز أيضا على ما إذا كان الجلد المستخدم فى التجليد يعود لأحد الكائنات الأولية، كالقرود أم لا، وبما أن جلود القرود لم تكن تُستخدم فى التجليد، فإن الكتاب الذى يعود غلافه إلى أحد الكائنات الأولية، يؤكد على أنه جُلِد بجلدٍ بشري[٦].

نُشِرَت دراسة عام ٢٠٠١م بعنوان "بقاء الحمض النووي فى بقايا جلد البقر" The Survival of PCR-amplifiable DNA in Cow Leather عمدت إلى التدقيق فى أغلفة أربعة عشر كتابا قديما، إلى جانب بعض الأوراق الأخرى والعيّنات السريّة بمكتبة جامعة ولاية جوتينجن Göttingen State University Library، واستنتج الباحثون أن تركيز الحمض النووي فى الجلد كان نادرا، ولعل السبب فى ذلك فقدان الحمض النووي بسبب الحرارة المرتفعة التى استُخدمت فى الدباغة، كما أن حساسية الفحص قد

(1) Ibid. P. 129.
(2) Boeni, Meg.Op. Cit.
(3) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(4) Goldschmidt, Ben. Op. Cit.
(5) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.128.
(6) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

تؤدّي أيضًا إلى نتائج إيجابيّة خاطئة نتيجة للتعامل البشري مع العيّنة المفحوصة[١]. هذا بالإضافة إلى أن جودة الحمض النووي بغلاف الكتاب المشكوك فيه قد تتأثر نتيجة لاستخدامه المستمر من جانب القراء، قبل أن يتم إبعاده عنهم إذا ثبت أنه مُجلد بمادة نادرة[٢].

واستُخدم الحمض النووى للتحقق من غلاف كتاب "مصير الروح"، فبعد إجراء الفحص صرح آلان بوجليا Alan Puglia مسئول الكتب النادرة بأن الغلاف مصنوع من جلد بشري نسبة ٩٩%. وأكد ذلك فاحص أغلفة الكتب دانيال كيربى بقوله "إنه متوافقٌ مع الجلد البشري"، وهو نفس الشخص الذى أشار أيضا إلى أن الحمض النووي وحده فى أحيان كثيرة غير كاف لفحص أغلفة الكتب نتيجة لتدميره أثناء الدباغة، ومن ثم كان هناك حاجة ماسة إلى تقنية أكثر تقدما"، وبالفعل توصل كيربى إلى ما يعرف بتقنية "تحليل مطياف الكتلة [٣].

٥/٧/٢ تحليل مِطياف الكتلة Mass Fingerprinting (M.F):

يقول كيربي - عضو مشروع التجليد بجلد البشر وأشهرهم- " ليس من الصواب أن تَحكم على كتابٍ من غلافه، ولكن يمكنك تحديد طبيعة الكتاب إذ كان هذا الغلاف مصنوعًا من جلد الإنسان"، وعليه فقد بحث كيربى ورفاقه حقيقة وجود كتب مُجلدة بجلد البشر بالفعل؛ إلا أن ذلك لم يكن يسيرا[٤]؛ لذلك طَوّر فريق المشروع وسيلة غير مكلفة؛ لمعرفة ما إذا كانت أغلفة الكتب التى تم حصرها مُجلدة بجلد البشر أم لا، مستخدمين "تحليل مطياف الكتلة" عن طريق الأحماض الأمينية التى تساعد فى التفريق بين الثدييات وغيرها من السلالات المشتملة على الكولاجين Collagen، فالجلد البشري لديه سلسلة من الأحماض الأمينية التى تميزه عن باقى الثدييات، وبالتالى فإن استخدام مطياف الكتلة يساعد على تحديد مصادر الجلود المستخدمة فى تجليد الكتاب كالتفريق بين جلد خروف وجلد إنسان، ويُفضل هذا التحليل عن تحليل الحمض النووي؛ إذ أنه يساعد على تمييز جلد الإنسان عن الأنواع الأخرى كجلود الماعز والبقر والغزلان، وغيرها بسرعة كبيرة وبدقة متناهية. لأن نتيجة تحليل مطياف الكتلة يَختلف تماماً عن نتيجة تحليل ما يسمى "بسلسلة القردة العليا"، وعلى الرغم من أن الحمض النووي والكولاجين هما إحدى مكونات الجلد البشري والحيواني؛ إلا أنهما لا يدوما فى معظم أنواع الجلود خاصة إذا تمت دباغتها أو تحنيط جسدها، وبالتالى سيؤديان إلى نتائج مضللة[٥][٦].

وتقوم تقنية تحليل مِطياف الكتلة بتحليل العناصر المكونة لمادة أو جُزيء ما وتحديدها، كما تُستخدم لتوضيح البُنى الكيميائية للجزيئات، مثل البيتيد Petide والمركبات الكيميائية الأخرى، والبيتيد عبارة عن حامضين أمينيين أو أكثر مرتبطين مع بعضهما برابطة ببتيدية، وبشكل مبسط فإنه باستخدام تحليل مطياف الكتلة يتم اختلاق الصورة المختبرية للبروتينات المأخوذة من عينة الجلد البشري المحتملة، فمثلا إذا أُخضعت مجموعة من العينات المُجمعة من جلود البشر والأغنام والماعز، وغير ذلك من جلود الكائنات الحية لهذا الفحص؛ تكون العينة التى تتطابق معها تلك البروتينات هى العينة المصنوع منها المادة المراد التأكد منها. ومن أمثلة الأغلفة التى تم التحقق منها باستخدم هذا التحليل: غلاف كتاب "مصير الروح" وتم ذلك فى معامل جامعة هارفرد[٧]. والغلاف الأمامي والخلفي والصمغ المستخدم فى كتاب "تساؤلات عملية حول القانون الملكي الأسباني"، اذ أمكن تمييز منشأ الجلد من بين المصادر الأخرى كالماشية والغزلان

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.128.
(2) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(3) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.122.
(4) Lavelle, Judith . Op. Cit.

(٥) سُبل التحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر بموقع مشروع الكتب المغلفة بجلد البشر. متاح في:
<https://anthropodermicbooks.org/about/the-science> تمت الزيارة في <٢٠١٧/١٢/٣>.

(6) Lavelle, Judith . Op. Cit.
(7) Madrigal, C Alexis. Op. Cit.

وحتى البشر، وتم التوصل إلى مصدر الصمغ المستخدم فى التجليد، إذ اتضح أنه خليط من الكولاجين المستخرج من الماشية والخنازير[١].

٨/٢ نتائج جهود العلماء والمتخصصين نحو التحقق من الكتب المُجلدة بجلد البشر:

ويستعرض الباحث النتائج التى توصل إليها فريق مشروع التجليد بجلود البشر باستخدام تقنيات التحقق المختلفة، من خلال المحاور التالية:

١/٨/٢ كتب مشكوك فى تجليدها بجلد البشر:

١. صرح "إد فرانك" Ed Frank المسئول عن المجموعات الخاصة بمكتبة ماكويرتر McWherter بجامعة ممفيس Memphis أنه فى عام ٢٠١١م تواصلت الجامعة مع ثلاث معامل لاختبار وتحديد ما إذا كان كتاب Hvgvenote Figurée au patron de la vieille payenne مُجلد بجلد بشري أم لا، وذلك على الرغم من أن فهرس المكتبة العام يشير إلى أن الكتاب مغلف بجلد بشري، ولم تُعلن النتائج، ولا يُحتمل ذلك؛ فالكتاب ليس متاحًا للعامّة على أية حال، ومن يرغب فى ذلك عليه أن يحجز موعدًا.[٢]

٢. كتاب "الأعمال الكاملة لجيوفانى بيكو" Opera Joannis Pici Mirandule Comitis Concordie الذى ألفه جيوفانى بيكو ديلّا ميراندولا Giovanni Pico della Mirandola، وقدّمه الكاردينال زيمينس Cardinal Ximenes إلى كولومبس Columbus وتمّ التبرع به إلى مكتبة كولومبيا فى كاتدرائيّة سيفيل Cathedral of Seville، ففى عام ١٩٩٩م قام الباحث فى الجلود البشرية ليز دوب Liz Dube بتكبير الغلاف فوجد نمطاً لمسامٍ جلدية لا يمكن أن تنطبق على البشر كمصدر محتمل للغلاف[٣]. إلا أنه وبعد تقرير صحيفة نيويورك تايمز عن تجربة جامعة هارفارد فى يناير من عام ٢٠١٥؛ أُخذت عينة من الغلاف الخلفي للكتاب وأُرسلت إلى مكتب نيويورك للفحص الطبي، واستخدم الفاحصون مجهراً من نوع نيكون إيه زد١٠٠ Nikon AZ100 لأخذ صور عالية الجودة للغلاف، ولاحظوا بعض الأنماط المثيرة للانتباه لكن لا توجد نتائج بعد، بيد أنها كانت محاولة مقبولة، بعد ذلك استخدم دونالد سيجل Donald Siegel أحد علماء مكتب رئيس الفحص الطبي تقنية قياس مطياف الكتلة التى قدمت نتائج غامضة أيضا. وأظهر أن العينات "تتفق مع أنواع متعددة من الجلود"، ولكنها أكثر قربًا إلى تركيب الأحماض الأمينية لجلد الخنزير. وفى أكتوبر ٢٠١٥م طُلب من سيجل أن يحيل العينات إلى دانيال كيربي، الذى استخدم اختبار الحمض النووي البشري وأشار إلى احتمالية أن يكون جلد الخنزير هو المستخدم فى تجليد الكتاب[٤].

٢/٨/٢ كتب ثبُت أنها غير مجلدة بجلد البشر:

١. زُعم أن أحد أقدم الأمثلة على ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري يعود إلى القرن السابع عشر ويقبعُ بمكتبة لانجل للقانون بجامعة هارفرد وهو كتاب قانون أسباني لون غلافه أصفر باهت مع بقع متفرقة من البني والأسود[٥] وعنوانه "أسئلة عملية حول القانون الملكي الأسباني" طبع ونشر بين عامى ١٦٠٥م-١٦٠٦م[٦]، وامتلكته جامعة هارفارد فى فبراير عام ١٩٤٦م من تاجر فى نيو

(1) Beck, Karen. Op. Cit.
(2) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.129.
(3) Ibid. P.130.
(4) Ibid. P.127.
(5) Books of Human Flesh: The History behind Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(6) Bound in human skin. Available at: <http://blogs.harvard.edu/houghton/2013/05/24/boundinhumanskin/>. Cited in <13-5-2017>.

أورلينز New Orleans بولاية لويزيانا Louisiana مقابل ٤٢,٦٠ دولار أمريكي[١]، فبعد أن فُحص غلاف الكتاب عام ١٩٩٢م لم تكن النتائج حاسمة؛ لذا قام كيربي ومعاونوه بعد ذلك بحوالي ٢٢ عاماً وتحديداً عام ٢٠١٤م بفحصه باستخدام تحليل مطياف الكتلة وثُبت أنه مصنوع من جلد الأغنام[٢]. أما بخصوص النقش المكتوب على غلاف الكتاب والذى يشير إلى أنه أُخذ من جلد بشري؛ فربما كتبه أحد المولعين بالأعمال الفنية الجنائزية آنذاك.[٣]

٢. خضع كتاب ديني محفوظ فى مكتبة بانكروفت Bankroft يعود إلى عام ١٦٧١م بجامعة كاليفورنيا للفحص، وثبت أن غلافه مصنوع من جلد الحصان لا البشر، وكُذبت الشائعات حول صناعته من جلد مالكه السابق، وهو رجل دين أعدم خلال الثورة الفرنسية[٤].

٣. تمتلك مكتبة تشارلز يونج .Charles E. Young فى جامعة كاليفورنيا نسخة من الكتاب الفرنسي "الحياة فى مدينة ميسينا"Des mouvemens de la ville de Messine (شكل، ٧) المطبوع عام ١٦٧٦م والمكتوب عليه عبارة "مغلف بجلد البشر" ويُعتقد أنه كتب بواسطة "جايمس ويستفول تومسون" James Westfall Thompson الذى كتب أيضًا "هذا الكتاب مأخوذ من مكتبة "أرماند جيروم بيجنون "Armand Jerome Bignon (١٧١١م-١٧٧٢م)، أمين مكتبة لويس الخامس عشر Louis XV"؛ فُحص الكتاب عام ٢٠١٧م، وتبين أنه مغلف بجلد الغنم.[٥]

شكل (٧) غلاف كتاب الحياة فى مدينة مينيسا

مذكرات جون لوك John Locke وعنوانها "مقال فى الفهم الإنساني" An Essay on Human Understanding (Libri IV de intellectu humanu) (الشكلان: ٨، ٩) والمحفوظة فى كلية أطباء فيلادلفيا، وتعود أصولها إلى عام ١٧٠٩م، فباستخدام الاختبارات والفحوص سالفة الذكر تبين أنها مغلفة بجلد ماشية[٦].

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.131.
(2) Flood, Alison. Op. Cit.
(3) Beck, Karen. Op. Cit
(4) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.
(5) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(6) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.

شكل (٨) غلاف كتاب مذكرات جون لوك

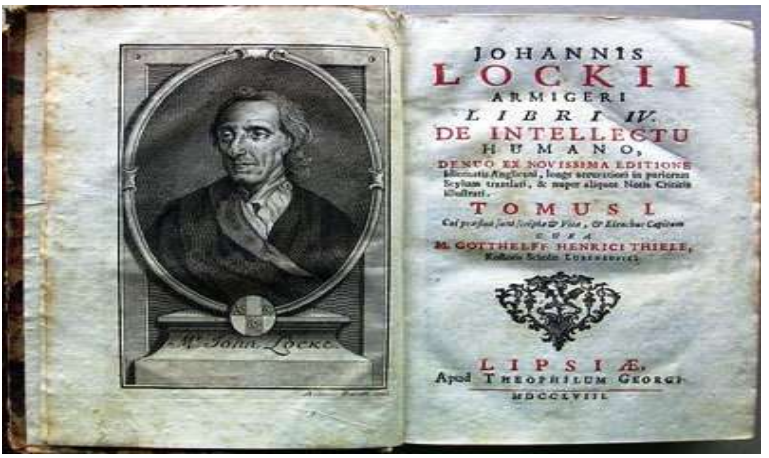

شكل (٩) صفحة عنوان مذكرات جون لوك

تضم مكتبة بيلى بكلية جونياتا عددًا من المجلدات الضخمة وُسمت بـ "مجموعة كاسل" Cassel Collection، جاء من بينها مُجلّد بعنوان "الموسوعة السياسية"Politica Bibliotheca (شكل، ١٠)، فقد جمع أبراهام اتش كاسل Abraham H. Cassel (١٨٢٠م- ١٩٠٨م) حوالي خمسين ألف مجلد طوال حياته، وكتب كاسل فى أول صفحة من المجلد المذكور: "هذا الكتاب مغلّف بجلد بشري"؛ إلا أن اختبار الحمض النووي الذى خضعت له العينات المأخوذة من غلاف الموسوعة أثبت أنه مجلد بجلد الغنم[١].

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.130.

شكل (١٠) مجلد الموسوعة السياسية

١. كتاب "رحلة طويلة" El Largo Viaje والمنسوب لتيرى ميدينا نافاسكوسيه Tere Medina-Navascués الذى أعيد نشره عام ١٩٧٢م بالتعاون مع مكتبة بايلى Bailey التابعة لجامعة سليبرى روك Slippery Rock، فى بنسلفانيا، واعتُقِدَ خطأً أنّ الكتاب مُجلدٌ بجلدٍ بشريّ[١].

٢. كتاب صغير مغلف بجلد مدبوغ بجلد شخص أسود، وموجود الآن فى مجموعة كتب مكتبة ويلكوم فى لندن، والشخص المقصود هنا هو كريسبوس أتوكس Crispus Attucks (شكل، ١١) عامل ميناء من قبائل الوامبانوغ[♣] Wampanoag وكان أول الضحايا الذين قتلهم البريطانيون خلال مذبحة بوسطن، وفور قتله اعتُبر أتوكس رمزاً للثورة الأمريكية[٢].

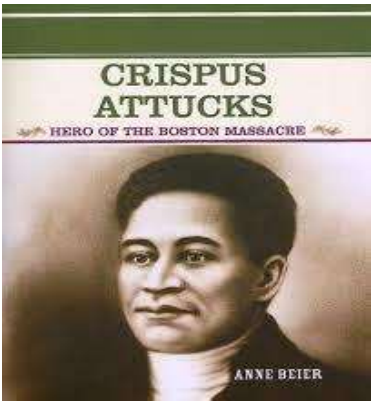

شكل (١١) كريسبوس أتوكس

٣/٨/٢ كتب ثَبُت يقيناً تجليدها بجلد البشر:

يستعرض الباحث هنا بعض الأمثلة لكتب ثبت يقيناً تجليدها بجلد البشر، وهى:

١. يُعد الكتاب الفرنسي "مصير الروح" الذى يشتمل على خواطر الروائي أرسين أوساييه حول الروح البشرية[٣] أحد الكتب التى أخضعها فريق مشروع التحقق من التجليد بجلود البشر، فقد أكدت

(1) Ibid. P.129.

(♣) هى قبيلة من الهنود الحمر، ينتمى معظم شعبها اليوم إلى قبيلتين معترف بهما فيدراليا هما ماشبى وأكوينا، من ولاية ماساتشوستس الأمريكية.

(2) Books of Human Flesh: The History behind Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

(3) Flood, Alison. Op. Cit

الفحوصات أنه ولاشك مُجلد فى جلد بشري، منسوب فى الغالب لمريضة فرنسية[١] (شكل، ١٢). فقد اختُبر الغلاف بأخذ عينات مجهرية من أماكن متفرقة منه حُللت باستخدام مطياف الكتلة، فقد قام كل من بيل لين Bill Lin، مدير معمل وسائل هارفرد لقياس مطياف الكتلة وعلم البروتينات الوراثية، ودانيال كيربى بوصف النتائج إذ قالوا: "إن البصمة الببتيدية المأخوذة من "مصير الروح" طابقت النسخ البشرية، واستبعدت المصادر الأخرى الأكثر شيوعا مثل الأغنام والماشية والماعز[٢]. وعن مصدر الكتاب فقد أعطاه أرسين أوسابيه فى منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى صديقه لودويك بولاند الذى قام بتجليده بجلد بشري[٣]، وانتقلت ملكية الكتاب بعد ذلك إلى جون بى ستينسون.

شكل (١٢) غلاف كتاب مصير الروح

٢. يضم متحف ماتر التابع للمكتبة الطبية التاريخية بكلية الأطباء فى فيلادلفيا خمسة كتب جُلدت بجلد البشر، وتم التوصل إلى تلك النتيجة عن طريق ريتشارد هارك Richard Hark، وجورج فوستر George Foster رئيس قسم الكيمياء فى كلية جونياتا، إذ أخذوا عينة صغيرة جدًا من أغلفة الكتب الخمسة[٤]، وفى مارس عام ٢٠١٥م وبمساعدة كيربى بدأت عملية الفحص باستخدام تقنية مطياف الكتلة، وأُعلنت النتائج فى التاسع والعشرين من سبتمبر فى العام نفسه[٥].

٣. صُدق فى أبريل عام ٢٠١٥م على أن كتاب "دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان" مُجلد بجلد بشري، ويركّز محتوى الكتاب على عملية التشريح التى كانت من الأسباب المباشرة فى تجليد الكتب باستخدام جلود البشر[٦]،(الشكلان: ١٣، ١٤).

(1) Meier , Allison. Op. Cit.
(2) Bound in human skin. Op. Cit.
(3) Dean, Erin. Op. Cit.
(4) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.130.
(5) Meier , Allison. Op. Cit.
(6) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

شكل (١٣) غلاف كتاب دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان

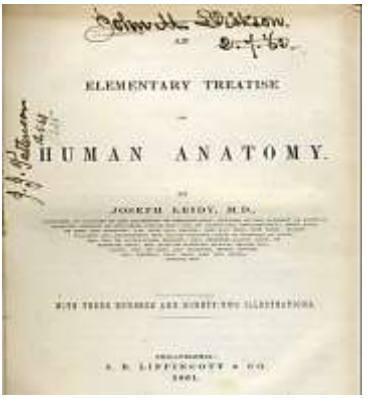

شكل (١٤) صفحة عنوان كتاب دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان

٤. فُحص غلاف كتاب "الآنسة جيرو، زوجتي!" وتبين أنه مغلفٌ بجلد امرأة أمريكية فقيرة أصيبت بالسُل فى إحدى مستشفيات فيلادلفيا عام ١٨٦٨م، وتقبع هذه النسخة الآن فى جامعة براون أيضا، وتعود أصولها إلى عام ١٨٩١م، ويتناول محتواها بعض الأمور التى تخص النساء[1]، (شكل، ١٥).

شكل (١٥) صفحة عنوان كتاب الآنسة جيرو زوجتي

(1) Rosenbloom, Megan. Op. Cit.

٥. تشير قائمة المحتويات لمجموعة "الأعمال الشعرية لروجرز وكامبل وجاى مونتغومرى ولامب وكيرك وايت" أنه قد "تم التصديق عليه بأنه مُجلد بجلد بشري"؛ طبقًا لتصريحات سو تشان Sue Chan، أخصائي المراجع فى مكتبة أستراليا الوطنية، الذى اعتمد فيها على أن عددًا من التقارير التى كتبها وراجعها اثنان من علماء الأمراض من مدرسة جون كيرتون للأبحاث الطّبية John Curtin School of Medical Research أكدت ذلك؛ فقد استخدم العالمان مجهر لفحص غلاف الكتاب بالاعتماد على عدد من العينات التى أكدت أنه بالفعل مجلدٌ بجلد بشري.[(١)]، (شكل، ١٦).

شكل (١٦) الأعمال الشعرية الكاملة لروجر ورفاقه

٤/٨/٢ الكتب المقدسة:

على الرغم من أن المجتمعات الأوربية قديمًا تحولت بشكل متسارع نحو العلمانية، بيد أنه كانت هناك بعض المعتقدات الدينية حول كون الجسد مجرد وعاء لتخليد الروح، كالتضحية بالجسد بعد الموت وخاصة للأشخاص المدانين باعتباره نوعا من التكفير عن الذنب[(2)]. إذ سبق وأن ذكر الباحث إنجيلًا فرنسيًا مكتوبًا باللغة اللاتينية يُحتمل أن يكون مغلف بجلد امرأة مجهولة الهوية موجود الآن فى المكتبة الوطنية الفرنسية، وهناك أيضا كتاب صلوات فرنسي مُجلد خلال الثورة الفرنسية (شكل، ١٧) عُثِر عليه فى وسط مدينة ليدز بانجلترا بعد سقوطه من لص ويقبع الكتاب الآن فى مكتبة بانكروفت بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى[(3)].

شكل (١٧) غلاف كتاب الصلوات الفرنسي الذى عثر عليه فى مدينة ليدز الإنجليزية

(1) Gordon, Jacob, Op. Cit. P.133.
(2) Necronomicon Ex- Mortis. Op. Cit.
(3) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.56.

إلا إن المفاجأة كانت لمصحفٍ فى مكتبة كليفلاند Cleveland العامة زُعم أنه مغلف فى جلد أمير مسلم عربي بناء على وصيته(١)، ومحاولة من الباحث لتقفى أثر هذا الزعم، توصل إلى أنه فى عام ١٩٨٤م طلب كاتبٌ فى مجلة كليفلاند طلباً مُقَنْعاً من السيدة أليس إل لورانث Alice N. Loranth رئيسة قسم المجموعات النادرة الاطلاع على هذا المصحف، إلا أن لورانس أوضحت أن هذا المصحف المغلف بجلد بشري قد يكون مسيئًا لبعض المسلمين الذين يعتبرون أن للجسد البشري حرمة حتى أنهم يرفضون وشمه، فكيف يسلخونه؟ فلم تشأ المكتبة أن تعرض الكتاب علنًا خشية التدمير أو السرقة، وأضافت لورانث "إن الكثير من الفضوليين أرادوا فقط حمل المصحف بين أيديهم لأسباب تتعلق بالفنون الجنائزية، كما أنه كان يخضع للترميم ولذلك لم يكن موجودًا بالمكتبة حينها. والآن قد عاد المصحف للمكتبة".

فقد كُتب داخل المصحف ملحوظة باهتة بقلم رصاص تشير إلى أن البروفيسور ويلسون من جامعة كامبريدج بانجلترا أكد أن الكتاب قد يكون مُجلدا فعلًا بجلد بشري، وأنه يعود لشيخ قبيلة عربي يُدعى بُشيري بن سالم Boshiri Ben Salem، ويوصف المصحف بلونه الأحمر الداكن، كما أنه مشرشر عند حوافه؛ فلمسه كملمس الجلد البشري بالفعل، ويُعتقد أنه جلد بشيري نفسه أو جلد شخص ما قتله بشيري، ومن ناحية أخري قالت باميلا أيردام Pamela Eyerdam نائبة السيدة لورانث إن الكتاب يتم فحصه مرتين تقريبًا كل عام، ولا تستطيع المكتبة أن تؤكد أنه مصنوع من جلد بشري لأن عملية الدباغة دمرت الحمض النووي، ويصف كاتب المقال كيف بدا عليها التوتر فى نبرة صوتها بعدما قالت "عندما أنشر هذا سوف أتلقى تهديدات" وطلبت منه أن يوضح للقراء أن مهمتها فقط تقديم المعلومات دون تفسيرها(٢)، وأكد جونسون(٣) بعضًا من تلك الرواية. كما أكدت ألكساندرا بوب(٤) أيضا ذلك بقولها أن المصحف ملكًا لشيخ قبيلة عربي ويُعتقد أن جلد هذا الشيخ هو المستخدم فى تجليد الكتاب.

وبالبحث حول اسم "بوشيرى بن سالم"، ووفقا لسعود بن تركي(٥) تبين أن اسمه الشيخ "بشير بن سالم الحارثي" أحد الشخصيات العمانية البارزة التى شهد لها التاريخ فى مقاومة المستعمر الألماني الغاشم بإفريقيا فى الفترة من (١٨٨٨م-١٨٨٩م)، وينتسب الشيخ الشهيد – كما يطلق عليه- إلى قبيلة الحارث التى تُعد من القبائل العربية العريقة المنتشرة فى الجزيرة العربية وشرق أفريقيا فقد قامت هذه القبيلة بأدوار مهمة وحيوية فى مقاومة النفوذ الأجنبي كما شاركت فى الصراع على السلطة فى سلطنة زنجبار العربية(♣) هذه الجزر –التى تتبع تنزانيا الآن- حيث كانت ملتقًا تجاريًا حيويًا على مستوي العالم، كما تمتلك أرض غنية بالكثير من الثروات الطبيعية التى جعلتها مطمعاً للألمان وغيرهم، فقد كانت زنجبار مكاناً لميلاد المجاهد الشيخ بشير بن سالم الحارثي (شكل، ١٨)، ولكن تاريخ مولده لم يُحدد فى المصادر التى اطلع عليها الباحث إذ يُذكر أنه مولود فى القرن التاسع عشر، أما تاريخ وفاته فمعلوم إذ أعدم فى يوم الخامس عشر من ديسمبر عام ١٨٨٩م، ولقب الشيخ هنا له دلالة دينية لا دنيوية أى أن بشير الحارثي شيخ دين لا شيخ قبيلة، عرف عنه تدينه وورعه، ونظرا لما قام به من تصدٍ للألمان وتكبيدهم خسائر مادية فادحة؛ تم تطويقه فى معسكره وألقى القبض عليه ومن معه وأعدم شنقا دون محاكمة بعد ثلاثة أيام من القبض عليه، ويشار إلى أن إعدام الشيخ بشير تم بمشهد من عموم الطوائف فى بلدة فنجاني، ومن المرجح أن القبض عليه كان فى ١٢ ديسمبر وأن إعدامه تم فى ١٥ ديسمبر ١٨٨٩ فى "فنجاني" حيث دفن.

(1) Archer, Caroline. Op. Cit.
(2)Necronomicon Ex- Mortis. Op. Cit.
(3) Johnson , M.L. Op. Cit.
(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.66.
(٥) بنيان سعود التركي (٢٠٠٧). ثورة الشيخ "بشير الحارثي " فى شرق إفريقيا ١٨٨٨-١٨٨٩.- المجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت.- مج٢٥،ع٢٩.- ص ٥١-٩٢.
(♣) تمثل زنجبار مجموعة الجزر الواقعة بالمحيط الهندي وتتبع تنزانيا الآن فى شرق أفريقيا، وتبتعد عن الساحل المسمى تنجانيقا حوالي 35 كلم و١١٨ ميلا عن كينيا و٢٩ ميلا عن شمالي دار السلام و٧٥٠ ميلا عن مدغشقر و٥٠٠ ميلا عن جزر القُمر.

شكل (١٨) بشير بن سالم الحارثي

ويرى الباحث بعدما عرض فى إيجاز شديد لميلاد ووفاة البشير بن سالم الحارثي هذا الشيخ الورع؛ استبعاد فكرة أن هناك مصحفاً فى مكتبة كليفيلاند العامة مجلد بجلده، فعلى الرغم من تلميح نائبة السيدة لورانس بمكتبة كليفيلاند العامة بأن المصحف مجلد بجلد بشري، إلا أنها أيضا أجزمت بأنه لم يتم التأكد من ذلك بسبب تدمير الحمض النووي للجلد المصنوع منه الغلاف بسبب الدباغة على الرغم من محاولة فحصه مرتين سنويا، كما أن وفاة الشيخ فى زنجبار أو بالأحرى إعدامه ومن ثم دفنه هناك كما أشار سعود بن تركي؛ يدحض المزاعم التى أشيعت حول هذا المصحف، بيد أن هذه الرواية بحاجة إلى التحقق، كما أن المصحف بحاجة هو الآخر إلى الفحص.

٩/٢ وقائع وقصص حقيقية لأشخاص استخدمت جلودهم فى تجليد الكتب:

يسرد الباحث فى هذا المحور بعض القصص الحقيقية التى وقعت بالفعل وتدور أحداثها حول أشخاص الذين استُخدمت جلودهم فى تجليد كتب لها علاقة مباشرة بحياتهم، ولعل الهدف من سرد هذه القصص هو التدليل على أن هذه الظاهرة وُجدت بالفعل وموورست لأسباب عدة، فضلا عن تحديد بعض الأسباب الكامنة وراء تجليد الكتب باستخدام جلود البشر بشكل واقعى، وكذا الملابسات التى أحاطت بعملية السلخ والدباغة، وكذا مصدر الجلد، وغيرها.

١/٩/٢ الأب هنرى جارنييه Henry Garnet

هو أحد المتآمرين فى عملية البارود Gunpowder Plot التى استهدفت تفجير البرلمان الإنجليزي Houses of Parliament عام ١٦٠٥م ، وعن حياته تذكر المصادر أنه سافر وهو فى سن العشرين إلى إلى روما وأصبح قسيسًا، وظل هناك حتى استدعاه الأب ويستون Father Weston إلى انجلترا ليشغل منصب الرئيس العام الأقليمي هناك، ويذكر أنه قابل المتطرف روبرت كاتيسبى Robert Catesby، الذى كان يخطط لقتل الملك جيمس الأول، وبعد أن علم جارنييه بذلك، لم يخبر أحداً[(١)].

فمؤامرة البارود عام ١٥٠٦م ما هى إلا محاولة قام بها متمردون كاثوليك بهدف قتل ملك انجلترا البروتيستانتي جيمس الأول King James I وابنه الأكبر، وكذا أعضاء البلاط الانجليزي والحكومة، وذلك بتفجير كميات كبيرة من البارود تحت مبنى البرلمان الإنجليزي، وخطط المتآمرون أيضا أن يقبضوا فيما بعد على أبناء الملك الصغار فى محاولة لتكوين حكومة كاثوليكية جديدة تدعمها الأقلية الكاثوليكية فى

(1) Veronese, Keith. Op. Cit.

انجلترا، بيد إن المحاولة بائت بالفشل، وتم القبض على كل المتآمرين ومحاكمتهم وإعدامهم، بمن فيه جارنييه، إلا أنه استطاع الهرب حتى تم القبض عليه، وتمت المحاكمة يوم الجمعة الموافق ٢٨ مارس ١٦٠٦م، وحضر الملك جيمس محاكمته، وأنكر جارنييه الاتهامات الموجة إليه، إلا أن موقفه كان ضعيفاً، وتمت إدانته أُعدم يوم السبت الثالث من مايو عام ١٦٠٦م، واستُخرج قلبه وتم التمثيل به وقيلت مقوله مشهوره آنذاك "شاهدوا قلب الخائن"، كما عُلقت رأسه على أحد الأعمدة فى لندن؛ كى يكون عظة لمن تسول له نفسه الخروج على الحاكم. (١).

وقد استُخدم جلد جارنييه فى تجليد سجل الانتهاكات التى اتُهم بها بعنوان "أدلة التورط الدامغة للخونة المجرمين بقيادة هنرى جارنييه" A True and Perfect Relation of the Whole Proceedings Against the Late Most Barbarous Traitors, Garnet a Jesuit and His Confederates، ونُشر الكتاب بواسطة روبرت بيكر Robert Baker المتخصص فى نشر المطبوعات الملكية.(٢) ويمكن رؤية ملامح وجه الأب جارنييه على غلاف إحدى النسخ التى لم يتعد حجمها ٤×٦ بوصة تقريباً (شكل، ١٩)، تلك النسخة التى بِيعَت فى مزاد علني بقيمة ١١,٠٠٠ دولار عام ٢٠٠٧م.(٣)

شكل (١٩) وجه الاب هنرى جارنييه على كتاب يروى أدلة تورطه فى مؤامرة البارون

٢/٩/٢ جيمس جونسون:

حكم قاضى محكمة جنايات نورفلوك Norfolk Assizes السيد جاستيس دالاس Mr. Justice Dallas على جيمس جونسون بالإعدام شنقًا فى ١٩ مارس ١٨١٩م، وأمر دالاس أن يتم تسليم جثمانه للجراحين ليتم تشريحها فور إعدامه، ووقع الإختيار على كل من السيد ويلسون Mr.Wilson، والسيد أوستين Mr.Austen، فقد قاما بتشريح الجثة وقدما نتائجه فى سلسلة من المحاضرات اليومية التى يقدمها السيد كروس Crosse، وأُلقيت المحاضرات فى قلعة هيل Hill Casstle بنورويتش Norwich أمام ٥٠٠٠ من الحاضرين، وبعد إتمام عملية التشريح سُلخ جلد جونسون وجُلدت به نسخة من قاموس إنجليزي لصامويل جونسون Samuel Johnson (الشكلان: ٢٠، ٢١)، فقد نشره صامويل - الذى لا تربطه أية صلة قرابة بجيمس جونسون(٤)- بعد اعدام جونسون فى ضاحية نورويتش بانجلترا عام ١٨١٨م(٥). ويوصف هذا القاموس بأنه أحد أعظم الانجازات الأكاديمية الفردية التى حققت نجاحاً كبيرًا لجونسون فقد نُشر بعده قاموس أكسفورد بحوالي ١٥٠ عاما(٦).

(1) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.74.
(2) Ibid. P.44
(3) Veronese, Keith. Op. Cit.
(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.34.
(5) Archer, Caroline. Op. Cit.
(6) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.66.

شكل (٢٠) غلاف قاموس صامويل جونسون

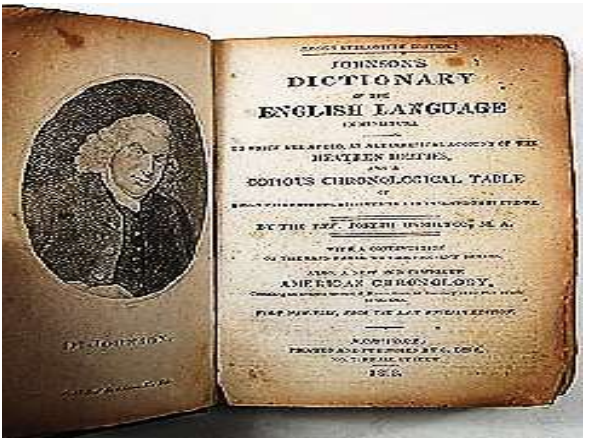

شكل (٢١) صفحة العنوان لقاموس صامويل جونسون

٣/٩/٢ جون هوروود:

فى أحد الأيام من شهر يناير عام ١٨٢١م كانت فتاة فى السابعة عشر من عمرها تُدعى إليزا بلسوم Eliza Balsum تعبر الطريق بالقرب من منزلها فى هانهام Hanham على مشارف مدينة بريستول Bristol، وبصحبة عشيقها الجديد ويليام وادى William Waddy، وعلى الجانب الآخر شاب يُدعى جون هوروود (شكل، ٢٢)، عشيق إليزا السابق، فقد انفصلا بنهاية عام ١٨٢٠م، بيد أنه هددها وظل يترقبهما من بعيد، وحانت فرصة انتقامه منها فى لحظة عبورها الشارع فقذفها بالحجارة، ومن ثم سقطت على الأرض، ثم عادت إلى منزلها بمساعدة الآخرين وهى ماتزال فى وعيها، إلا أنها كانت تشعر بألم شديد[1].

(1) Gentleman, Georgian. Another look at he sad case of John Horwood, who took 190 years to be buried Available at: <http://mikerendell.com/thesadcaseofjohnhorwoodwhotook190yearstobeburied/>. Cited in: <12-5-2017>.

شكل (٢٢) صورة مرسومة لجون هوروود

وبعد يومين من العلاج المنزلي نُقلت إلى المستوصف الملكي Royal Infirmary فى بريستول وخضعت للعلاج على يد الطبيب ريتشارد سميث Richard Smith (شكل، ٢٣) الذى لاحظ تعرض وجهها لجرح شديد، فقرر إدخالها مشفاه الخاص، وكان حاضرًا حينما أدلت إليزا بأقوالها التى أدانت فيها هوورد أمام المحققين، مرت أيام وساءت حالتها، وبعد أيام وافتها المنية، واتُهم جون هوروود بالقتل، وأُحيل للمحاكمة يوم ١٧ فبراير ١٨٢١م فى بيدمنستر Bedminster ببريستول، والغريب أن المحكمة شهدت رجلين مهتمين بقتل إليزا هما هوروود وسميث، فالأول عشيقها المتهم، والثانى هو الطبيب المُعالج[١].

أُودع هوروود السجن لحين تنفيذ الحكم، وفى سجنه كتب أبيات شعرية اعترافا منه بجريمته وفى نفس الوقت رثاء لحبيبته، ووجد أحد الجنود هذه الأبيات، وقام بطبعها وبيعها أثناء تنفيذ حكم الإعدام، ويورد الباحث بعض من تلك الأبيات[٢]:

جون هوروود هو اسمى البائس
ولدت فى هانهام
وقتى الماضى قضيته
فى الشغب والمرح
إليزا، آه يا عزيزتي!
لقد فاضت روحك
وجسدك المسكين المهتريء قابع
معدود بين الأموات الآن
اللعنة على تلك اليد التى ضربتك
واللعنة على ذاك الحجر القاتل
الذى أسال دمك الغالي
لأنه بهذا قد أنهاني...

(1) Ibid.
(2) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.41.

شكل (٢٣) الطبيب ريتشارد سميث

أصدرت المحكمة حكمها بإدانة هوروود وحُكم عليه بالإعدام، الذى نُفذ فى الثالث عشر من أبريل عام ١٨٢١م بعد ثلاثة أيام من بلوغه عامه الثامن عشر[١]. وجاءت أسرة هوورد من هانهام للحصول على جثمانه ودفنه، إلا أن سميث اعترض على هذا وطالب بالحصول على جثته لأغراضٍ تشريحية؛ فلم يكن من الممكن الحصول على جثة حديثة الوفاة بطريقة قانونية، وجثة جون بالنسبة له صيد سهل، دون الحاجة إلى الجثث التى يشتريها من نابشى القبور بشكلٍ غير شرعي!. أخذ سميث الجثة وشرحها وأبقى الهيكل العظمي ومازال حبل المشنقة حول الرقبة (شكل، ٢٤)، ظل الهيكل العظمي فى إحدى خزاناته فى بيته حتى تُوفى الطبيب فى الرابع والعشرين من يناير ١٨٤٣م. ثم نُقل الهيكل إلى جامعة بريستول وبقى هناك لمدى قرنين من الزمان[٢].

شكل (٢٤) الهيكل العظمى لجون هوروود

(1) Gentleman, Georgian. Op. Cit.
(2) Ibid.

وكان الطبيب سميث من هواه كتابة الشعر عن المجرمين المعدومين، فقد كتب سميث قصة هوروود مع إليزا بالكامل فى كتاب وغلّفه بجلده(شكل، ٢٥) بعد دبغه فى أحد الأماكن غير المعلومة، ومازالت فاتورة الدباغة والتى بلغت جنيه استرليني وعشرة قروش موجودة داخل الكتاب ، ومازالت سجلات بريستول تحتفظ بالكتاب الأصلي، إلا أنه اهترأ كثيرًا ولم يعد أغلب محتواه مقروءًا، ولكن ماذا عن هيكل جون العظمى؟ لقد بقى فى خزانة لمدة ١٩٠ عامًا، حتى استقر به الأمر أخيرًا ودُفن فى أبريل ٢٠١١م فى نفس يوم وفاته. فقد عاد جثمانه إلى هانهام بعد جهود مضنية من مارى هاليويى Mary Halioyer، إحدى حفيدات شقيقه، وغُطّى نعشه بقماشٍ مخملي مثلما كان الناس يفعلون أيامه، لقد كانت نهاية مُكرّمة لممات غير مكرّم[١]. وصرحت ألى ديلون Allie Dillon أخصائية الأرشفة بمتحف "إم شيد" M Shed ببريستول "يالها من قصة حزينة، يبدو لى أن هوروود كان شخصًا حساسا فربما كان هذا سببا لما فعله، أما تجليد كتاب بجلده فيُعد أمراً بشعاً، إذ من الصعب فهم السبب وراء ذلك، إلا أنه يبدو أمرًا ثأريًا"[٢]

شكل (٢٥) غلاف الكتاب الذى يشمل سيرة جون هوورد ونص التحقيقات ببريستول

٤/٩/٢ ويليام كوردر [٣]:

أُعدم كوردر المعروف بقاتل الشونة الحمراء أو السقيفة الحمراء Red Barn عام ١٨٢٨م بتهمة قتل عشيقته ماريا مارتن Maria Marten، وتمت جريمة القتل الشنيعة داخل تلك الخزانة المعروفة كمَعْلمٍ محلي فى بولستيد Polstead بإنجلترا عام ١٨٢٧م. ففى مارس ١٨٢٦ دخلت ماريا ذات الأربعة وعشرين ربيعا فى علاقة غير شرعية مع كوردر الذى كان يبلغ اثنين وعشرين عاما حينذاك، ولأنها معروفة فى المدينة بجاذبيتها؛ فقد واعدت عدة رجال فى آن واحد وكانت أما لطفلين، والد أحدهما كان توماس الشقيق الأكبر لكوردر.

عُرف كوردر منذ صغره بسلوكه الماكر، وأنه زير نساء، فبعد وفاة أخيه الأكبر توماس بدأ مواعدة ماريا سرًا، لكن لم تدم تلك السِريّة طويلا، إذ أصبحت معلومة للجميع بعدما وضعت ماريا طفلًا منسوباً لكوردر عام ١٨٢٧م، ورغم وفاة الطفل بعد ولادته بوقت قصير إلا أن كوردر ظل عازما على الزواج من ماريا، ولم يحدث ذلك الزواج؛ إذ اتُهمت ماريا بالزنا لإنجابها طفلا من علاقة غير شرعية، ورتب كوردر لقاء بينهما فى السقيفة الحمراء وقام بقتلها منعاً للفضيحة، ووجهت إليه تهمة القتل بعد أن اكتشف أبوها الجثمان فى التاسع عشر من أبريل ١٨٢٨م عندما بحث عنها فى شونة القمح بالسقيفة الحمراء، فرغم

(1) Ibid.
(2) Dean, Erin. Op. Cit.
(3) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.44.

اهتراءه إلا أن آنا Anna أخت ماريا استطاعت التعرف على جثمانها عن طريق شعرها وملابسها، بالإضافة إلى إن الجثة كانت تفتقد لنفس السِنّة التى كانت تفتقدها ماريا، كما عُثر على أدلة إدانة كوردر وتمثلت فى منديله الأخضر الذى ظل ملفوفا حول عنقها، وتم القبض على كوردر وحوكم فى قاعة شاير Shair Hall فى بيرى سانت إدموندز Bury St. Edmunds فى غُرة أغسطس عام ١٨٢٨م، واتهم بأنه فى الثامن عشر من مايو ١٨٢٧م قام بقتل ماريا مارتن عمدًا، ورغم دفاعه عن نفسه إلا أن المحكمة رأت أنه مذنب بارتكاب تلك الجريمة، وذلك بعد مناقشة استمرت ٣٥ دقيقة.

حَكم السيد بارون أليكسندر Baron Alexander على كوردر بالإعدام وتشريح الجثة، وبعد ثلاثة أيام فى السجن بعد المحاكمة تخللها عدة لقاءات مع قسيس السجن قرر كوردر أن يعترف بقتل ماريا مارتن، وخضع جثمان كوردر للتشريح فى اليوم التالى لإعدامه أمام الكثير من الأطباء والطلبة فى جامعة كامبريدج. واستُخدم هيكله العظمى بعد ذلك كوسيلة مساعدة فى التعليم بمستشفى ويست سافولك Suffolk قبل عرضه فى متحف هونتيريان Hunterian فى كلية الجراحين الملكية بإنجلترا Royal College of Surgeons إلا أنه فى عام ٢٠٠٤م أزيلت عظام كوردر من العرض ثم أُحرقت.

جُلد الكتاب الموجود الآن فى متحف بيرى فى إدموندز بجلد وليام كوردر (شكل، ٢٦)، فقد كتبه المراسل الصحفي جيمس كيرتيس James Curtis ويدور حول جريمته، ويُعد جورج كريد الجراح بمستشفى سافولك هو المالك الأصلي للكتاب، فقد قام بعمليتى التشريح والدباغة، وكتب نقشاً داخل الكتاب، نصه: "غلاف هذا الكتاب هو جلد القاتل ويليام كوردر، أخذته عن جسده ودبغته بنفسى عام ١٨٢٨م". وبجانب النقش الذى كتبه كريد وُجدت شهادة لشاهد عيان على الإعدام مكتوبة داخل على غلاف الكتاب، نصها:

"عشية الإعدام وخلال عرض لمسرحية ماكبث Macbeth فى ديورى لين Drury Lane، عندما قيل فى مشهد من مشاهدها "هل أُعدِم كودور؟" حينها صرخ أحد الحاضرين العرض "نعم، أُعدِم اليوم فى بيرى Bury."

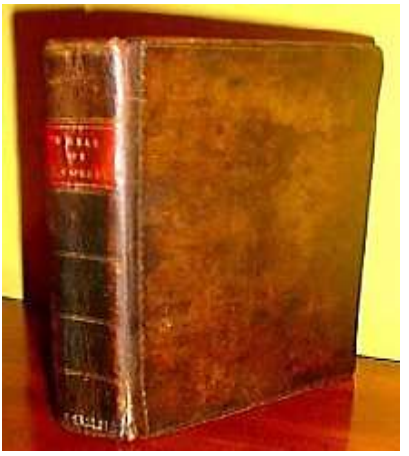

شكل (٢٦) كتاب يضم الإجراءات القانونية لإعدام ويليام كوردر وسيرته الذاتية

٥/٩/٢ جورج والتون[(١)]:

يُعد جورج والتون أحد المجرمين القلائل الذين تبرعوا بجلدهم، إذ أوصى بذلك بعد موته، فقد تخصص جورج والتون المعروف بقاطع الطريق فى نصب الفخاخ للمسافرين، على نحو ما فعل مع جون فينو John Fenno إذ حاول سرقته تحت تهديد السلاح على طريق ماساتشوستس الرئيسي، بيد أن فينو قاوم الأمر، بل أكثر من ذلك ساعد فى القبض على والتون.

أدلى جورج والتون وهو على سرير الموت باعترافاته إلى حارس سجن ولاية ماساتشوستس Masatshusts الأمريكية قبل أن توافيه المنية، إذ سرد جزءًا كبيرًا من جرائمه التى جُلدت بجلده فيما بعد واعتُبرت بمثابة مذكراته، وفيما يخص قضية فينو فتدور الحادثة فى بوسطن بعد أن شاهده والتون حاملاً محفظة ممتلئة بالنقود، فقام بمتابعته حتى وقت متأخر من الليل ثم حاول سرقته تحت تهديد السلاح أثناء عودة فينو إلى منزله، إذ صوب سلاحه تجاهه وأمره أن يعطيه المال مقابل أن يتركه حيًا، وبدلًا من الاستسلام لوالتون قفز الشاب فينو من العربة وأمسك بكتفي والتون، وخلال عراكهما انطلق عيار نارى من سلاح والتون فأصابه مما جعل والتون يعتقد بأنه أصيب، ثم عاد إلى المدينة ونسي الواقعة. وعلى الجانب الآخر تلقت الشرطة أوصاف الرجل الذى حاول سرقة فينو تحت تهديد السلاح، وعلى الفور أدركوا أن ذلك المجرم هو جورج والتون، ولما علم والتون بوجود مذكرة لاعتقاله قام باتخاذ التدابير اللازمة للخروج من بوسطن على عَبّارة متجهة إلى ويست إنديز[(♣)] West Indies. وفى ٢١ فبراير ١٨٣٤م وحُكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشرين عام فى سجن الولاية. إلى هنا انتهى والتون من سرد حكايته بنفسه فقد وُضعت الفقرة التالية ليعلم القاريء أن سرد القصة سيتحول من والتون نفسه إلى شخص آخر استكمل قصته، وهذه الفقرة هي:

"فى هذه المرحلة من الحكاية وبما أن والتون يعانى من سعال شديد ولا يستطيع أن يكمل سرد قصة حياته فإنه طلب أن استكمال قصته بوسطة أولئك الذى كان يخضع لسلطتهم والذين يمتلكون كل المعلومات اللازمة منذ تاريخ القبض عليه "

لقد كان سبب سعال والتون الشديد هو تشخيصَه بالإصابة بالأنفلونزا فى السادس من فبراير ١٨٣٧م، فقد أدى عدم حصوله على رعاية طبية جيدة طوال الفترة التى قضاها فى السجن إلى حدوث ذلك، إذ تُوفي فى ١٨ يوليو ١٨٣٧م، وأوصى قبل وفاته أن تؤول نسخة مغلفة بجلده من مذكراته إلى فينو كدليل على إعجابه واحترامه لمقاومته التى أظهرها خلال تلك الحادثة. واشتملت المذكرات على سيرته الذاتية، وكذا اعترافاته التى أملاها حارسه فى السجن فى حياته، وأكملها بعد مماته، ويوجد نقش على غلاف الكتاب باللغة اللاتينية معناه "هذا الكتاب مغلف بجلد والتون"، وقام هارينجتون Harington وشركاه بنشر الكتاب المغلف بالجلد البشري فى بوسطن عام ١٨٣٧م، وأعطى إلى فينو الذين تبرع به لمعهد بوسطن للآداب والفنون Boston Alhenaeum، ومازال هناك حتى الآن.

٦/٩/٢ جورج كادمور:

ولد كادمور فى إدزليه Iddesleigh بإنجلترا فى مطلع القرن التاسع عشر وبعد بلوغه تجول بين البدان بحثا عن عمل، وبعد ستة أشهر من توقيعه عقد عمل مع جورج هيل George Hill فى ميرتون Merton، تزوج من جريس مارتن Greace Martin فى الأول من سبتمبر عام ١٨٢٢م، رزق الزوجين بأربعة أطفال قبل أن تبدأ علاقة جورج غير الشرعية مع سارة دن Sara Dunn؛ تلك العلاقة التى كانت

(1) Ibid. P.23.

(♣) ويست إنديز هى إقليم يقع فى شمال المحيط الأطلنطي ويطل على البحر الكاريبي.

سبباً فى قتله زوجته، ولأنه صائد فئران محترف فقد سمم زوجته بمزيج من التفاح المشوي واللبن المخلوط مع مسحوق الزرنيخ، وشاى مُسمم، واتهم كل من كادمور وسارة دان عام ١٨٢٩م بقتل جريس مارتن(١). وبعد محاكمتهما اختلفت آراء المُحلفين حيال سارة لتسترها على الجريمة، إلا انها بُرأت، وحكم على كادمور بالإعدام شنقاً خلال المحاكمات التى انعقدت فى موسم الصوم الكبيرLent Assizes فى مارس ١٨٣٠م(٢).

حُفظ جلد كادمور جيدا بعد تشريحه وانتهى به المطاف إلى بائع كتب من مدينة إكستر Exter الإنجليزية يُدعى دابليو كليفورد واستخدمه لتجليد نسخة من الأعمال الشعرية لجون ميلتون تعود لعام ١٨٥٢م، والدليل على ذلك نقش مكتوب على أول صفحة من صفحات الديوان، نصه: "هذا الكتاب مغلف بجزء من جلد جورج كادمور المتهم بقتل زوجته جريس بالسم فى إبرشية روبورو Parish Of Roborough فى الرابع عشر من أكتوبر ١٨٢٩م."، وعُرضت نسخة الكتاب للمرة الأولى فى الاحتفال بالعيد القومي السنوي لمقاطعة ديفون Devon بانجلترا فى ٢٦ فبراير ٢٠١١. ووجدت على بِطانة الغلاف مُلصق يوضح أن هذه النسخة بيعت من قبل السيد دابليو كليفورد بائع كتب فى إكستر(٣). ويوصف الكتاب بصِغر حجمه، واهترائه عند الحواف والكعب، أما الجلد فمصبوغ باللون الأبيض ويشبه جلد الخنزير نظراً لخشونة ملمسه، وكان الكتاب ملكاً لمكتبة رالف ساندرزRalph Sander's Library قبل أن يُنقل إلى مكتبة دراسات ويستكونترى West country Library بإنجلترا(٤).

٧/٩/٢ وليام بيرك:

أُلقب وليام بيرك بسارق الجثث؛ إذ كان يبيع جثث قتلاه لمدرسة الطب[٥]. فقد قام بالاشتراك مع ويليام هير William Hare فى عام ١٨٢٨م بقتل ستة عشر شخصاً خلال عشرة أشهر، وقاما ببيع الجثث الحديثة التى لم تفسد بعد إلى كلية الجراحين فى إدنبرة، وشُرِحَت فى مدارس التشريح المنتشرة حول المدينة، أُلقي القبض على بيرك وهير لاحقا حينما اكُتشفت جثة إحدى الضحايا فى غرفة التشريح الخاصة بالطبيب روبرت نوكس Robert Knox الذى اعتاد شراء الجثث منهما، بعد ذلك قدم هير الأدلة كشاهد مالك وأُطلق سراحه، بينما اتُهم بيرك وحُكم عليه بالإعدام[٦].

شُرِحَت جثة بيرك فى كلية الطب بإدنبرة على يد الطبيب أليكساندر مونرو Alexander Monro عام ١٨٢٩م[٧]. ثم سُلخ جلده واستخدم جزء منه جلده لصناعة محفظة "عامل بكلية الجراحين فى إدنبرة"، واستخدمت قطعة أخرى من الجلد فى تجليد بعض الأوراق الخاصة بقضية كل من بيرك وهير، وموجودة الآن فى أبوتسفورد Abbotsford[٨] باستراليا. كما صُنع من جلده أيضا كتاب صغير عرف بكتاب الجيب Boocket Book (شكل، ٢٧)، هذا الكتاب الذى وصفه ليونارد سميث Lionard Smith بأنه كتابُ جيبٍ بالٍ، وصغيرٍ مصبوغ بلون بُني داكن يميل إلى الاسمرار ذى ملمس ناعم ونقش ذهبي، ولا يبدو الكتاب مميزًا فى مظهره اطلاقًا للمشاهد العادي؛ لكن المُدقِق له سيرى عبارتي: "كتاب جيب من جلد بيرك"، و"تم اعدامه فى ٢٨ من يناير ١٨٢٩م" ، فهاتين العبارتين تكشفان منشأ الكتاب الحقيقي[٩]. كما أن القلم

(1) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.13.
(2) Milton's poems bound in murderer skin on display. Op. Cit.
(3) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.29.
(4) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.101.
(5) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(6) Fitzharris, Lindsey. Holding a Book Bound in Human Skin. Available at: <http://www.huffingtonpost.co.uk/drlindseyfitzharris/holdingabookboundinhumanskin_b_3772196.html>. Cited in: <13-5-2017>.
(7) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.
(8) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.45.
(9) Books of Human Flesh: The History behind Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

الرصاص الأصلي الذى جاء مع هذا الكتاب الصغير مازال موجوداً بشكله الأنيق داخل الصفحات، ولا يزال غلاف الكتاب ناعما وليّنا بعد كل هذه السنون"[١].

شكل (٢٧) كتاب الجيب لوليام بيرك

وقد أدلت إيما بلاك Emma Black الموظفة بكلية الجراحين بدلوها فى واقعة إعدام بيرك بقولها "لقد شُرّحت جثة بيرك أمام الجمهور(شكل، ٢٨)، وبعد ذلك تم التبليغ عن فقدان جزء من جلده، وبعد فترة قصيرة ظهر كتاب الجيب معروضًا للبيع فى إدنبرة؛ فقد كانت أشلاء المجرمين الذين يتم إعدامهم يتم استخدامها كنوعٍ من التمائم الجالبة للحظ، وكان هذا تقليدًا رائجًا آنذاك."[٢].

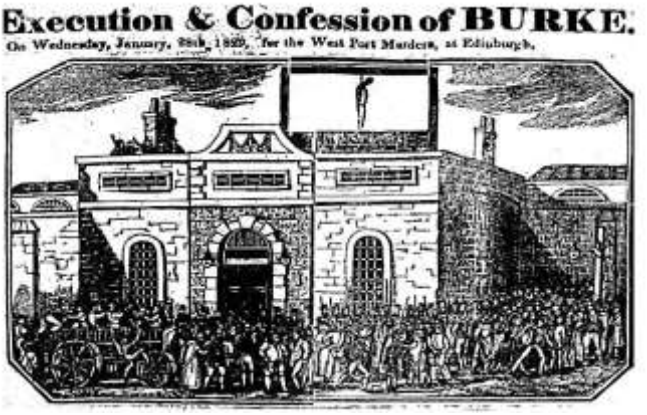

شكل (٢٨) رسم توضيحي لتشريح وليام بيرك علناً نُشر فى إحدى الصحف آنذاك

٨/٩/٢ أشخاص مجهولون:

تمتلك مكتبة ويلكوم فى لندن نموذجا مجلداً بجلد بشري مثيرًا للاهتمام، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات حول أمراض النساء مكتوبة بواسطة عدد من المؤلفين من بينهم دراسة لسيفيرين بينو حول العذرية والحمل والولادة بعنوان" علامات طهارة ودناسة العذارى" (شكل، ٢٩)، فقد قام بائع الكتب

(1) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.34.
(2) Dean, Erin. Op. Cit.

الباريسي المعروف مارسيلين لورتيك بتجليد هذه الدراسة باستخدام جلد بشري مدبوغ بمادة السماق ومأخوذ من جسد امرأة، وبإيعاز الطبيب لودويك بولاند، الذى تدرب على المهنة فى ستراسبورج Strasbourg عام ١٨٦٥م ومارسها فى مدينة باريس، وتوجد مذكرة على غلاف الكتاب الأمامي كتبها بولاند يشرح فيها ضرورة مطابقة الغلاف لمتنه، وكيف حصل على الجلد من جثة امرأة متوفاة فى مستشفى ميتز Metz حيث كان يعمل طبيبا تحت التدريب، لم يكن بولاند طبيبًا فقط بل كان شغوفاً بتجليد الكتب، إذ أسس النادى الفرنسي لجامعي رُقع الكتب والأغلفة الفنية عام ١٨٩٣م، وصار رئيسًا له حتى عام ١٩٠٧م، وظل كتاب "العذارى" بحوزة طبيب نساء وتوليد وجامع كتب يدعى أليستير جان Alister Gunn حتى عام ١٩٧٩م، ثم بيعت مجموعته فى مدينة بونام Bonham بولاية تكساس إلى السيدة دانجين Mrs Dungeon التى تبرعت به إلى مكتبة ويلكوم[١].

شكل (٢٩) كتاب علامات طهارة ودناسة العذارى بمكتبة ويلكوم

١٠/٢ الاستخدامات الأخرى لجلود البشر:

لاستخدام بقايا البشر فى العديد من المجالات جذور ممتدة عبر التاريخ، إذ تشير تومبسون فى مقالتها "جلد بشري مدبوغ" أن هيرودوت فى كتابه "التواريخ" يصف شعب السيكتوثيين Sectothians وهم يسلخون ضحاياهم قائلاً "يسلخ البعض الذراع اليمنى لضحاياهم ويصنعون من الجلد أغطية لكنانات أسهمهم، فجلود البشر غليظة ولامعة أيضا، وتتخطى بلونها الفاتح كل أنواع الجلود الأخرى، حتى إن بعضهم يسلخ جلود جثث أعدائهم كاملة حامليها معهم فى كل مكان يرتحلون إليه، وهذه هى عادات السيكتوثيين فيما يخص فروة الرأس والجلد[٢]."

وأبان الثورة الفرنسية صُنعت المعاطف والبناطيل القصيرة وكذا الملابس من جلود القتلى الذين ناهضوا قيام الجمهورية[٣]. فقد لاحظت الحكومة أنها تُهدر الكثير من الموارد فى ذلك، لذا صرحت باستخدام الجلد البشري فى صناعتها نظرا لنعومته[٤]، وهذا ما يراه الباحث منافياً لكل الشرائع السماوية والأخلاق والأعراف الإنسانية، فكيف تقوم الحكومات بدور المُوجِه نحو سلخ الجلد البشري

(1) Archer, Caroline. Op. Cit.
(2) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.
(3) Anthropodermic bibliopegy Infogalactic: the planetary knowledge core. Available at: <https://infogalactic.com/info/Anthropodermic_bibliopegy#History 1/>. Cited in: <13-5-2017>.
(٤) أغرب عشرة أشياء صُنعت من جلد البشر. متاح فى: <http://www.alwasatnews.com/news/1104375.html>. تمت الزيارة فى <٢-١٢-٢٠١٧>.

واستعماله لأغراض صناعية استهلاكية. يُضاف إلى أن لويس فيليب Louis Philippe، ابن عم الملك لويس السادس عشر King Louis XVI's - ملك فرنسا- فضّل ارتداء بناطيل مصنوعةٍ من جلد البشر، خاصة لو كانت من رقعة واحدة دون حياكة(١). أما الصديري(*) فقد صُنع أيضا من جلد البشر، ففى فترة الهجمات الإرهابية الانتحارية التى شهدتها باريس عقب الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر كان غالبية الأشخاص يرتدون الصديري المصنوع من جلد البشر باعتباره شيئاً مألوفاً.

كما استُخدم الجلد البشري فى صناعة جلود النِعال، فقد أسس لويس الثالث عشر ملك فرنسا متحفًا لِجَمْعِ الأشياء الغريبة والنادرة في القرن السابع عشر، وكان من بينها زوج من النعال مصنوع من جلد بشري تبرع بيه جراح فرنسي(٢). كما قدّم فالمونت دى بومارل Valmont de Bomare تقريرًا حول الجراح الباريسي الشهير "م. سيو" M. Sue الذى أهدى مجلس الوزراء الفرنسي زوجًا من النعال المصنوعة من جلود البشر، أما هيرمان بورهارف Hermann Boerhaave (١٦٦٨م- ١٧٣٨م) فقد شكّل مجموعة من التُحف الطبية متضمنة زوجًا من أحذية السيدات ذات الكعب العالي مصنوعة من الجلد المدبوغ لمجرمين تم إعدامهم، واستُخدمم جزءًا من صدر النساء لتزيين الجزء الأمامي منها(٣)(٤). وفى عام ١٨٧٦م قام صانع الأحذية ماهرينهولز Mahrenhols فى نيويورك بجمع أشكال مختلفة من الجلد لصناعة الأحذية، بما فيها جلد الأسماك، ثم قرر تجربة جلد الإنسان فى ذلك مستخدماً جلود العجائز مجهولى الهوية الذين توفوا وشُرّحَت جثامينهم. كما صُنعت "الأحزمة" من جلود البشر اعتقادًا بأنها تساعد المرأة عند الولادة.(٥) وفى عام ١٨٣٣م وتحديدا فى ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة الأمريكية قَتل المهاجر الفرنسي انتون ليبلانس Anton Leblas ثلاثة أشخاص وسرق محافظهم الثمينة، وأمر القاضى باستخدام جلده بعد إعدامه لصنع محفظة كعقاب له.(٦)

وطبقًا لما رواه روبرت بروتون Robert Broton فإن الجنرال جون زيكا زيسكا Zisca (*) أراد أن يغلف "طبْلة" كاملة بجلده الشخصى بعد موته معتقدًا أن صوتها بجلده سيخيف الأعداء، ويُقال أن جلد صدر الرجل استخدم لصناعة الطبلة بالفعل، فهناك صورة يُدّعى بأنها تعود إلى تلك الطبلة (٧) إلا أن الباحث لم يتأكد من حدوث ذلك، كما حمل العديد من الأطباء أدواتهم الجراحية فى حقائب مصنوعة من جلود البشر، فقد تلقى الطبيب دابليو دابليو كين W.W. Keen ، أحد زملاء جوزيف ليدى فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، محفظة مصنوعة من جلد البشر من أحد طلابه عرفاناً بالجميل(٨).

وفى سبتمبر ١٩٢٠م احتاج شرطي باريسي إلى صندوق ليخزن فيه التبغ الخاص به، وعليه فقد حصل على قطعة من جلد مجرم يُدعى هيرنى برانزينى Herni Branzini الذى قتل العديد من النساء، وبعد إعدامه تمكن أحد رجال الشرطة السرية من الحصول على جزء من جلده وقام بتحويلها إلى علبة تبغ كهدية تذكارية، كما استُخدم الجلد البشري فى بطاقات "الدعاوى"، مثلما حدث مع وليام بيرك إذ صُنعت من جلد يده اليسرى بطاقة دعوة أنيقة(٩) قدمت كهدية للسير والتر سكوت Walter Scot.(١٠)

---

(1) Anthropodermic bibliopegy Infogalactic. Op. Cit.

(*) الصديري هو ثوب أو وَاقٍ قصير يغطى نصف الجسد الأعلى، مفتوح من الأمام، ولا طوق له أو كُمَيْن.

(٢) استخدامات أخرى لجلود البشر. متاح فى: <http://www.elmogaz.com/node/357754> تمت الزيارة فى <٢-١٢-٢٠١٧>.

(3) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.9101.

(4) Pope BA, Cassandra. Op. Cit. P.45.

(5) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P.99.

(٦) أغرب عشرة أشياء صُنعت من جلد البشر. متاح فى<http://www.alwasatnews.com/news/1104375.html>. تمت الزيارة فى: <٢-١٢-٢٠١٧>

(*) أوصى "جون زيسكا" قائد الثورة البروتستانتيه فى القرن الخامس عشر وهو يحتضر بأن يُسلخ جلده ويُصنع منه طبول الحرب لترويع العدو.

(7) Thompson, Lawrence S. Op. Cit. P..

(8) Schwartz, Jason. Op. Cit.

(٩) استخدامات أخرى لجلود البشر. متاح فى <http://www.elmogaz.com/node/357754> تمت الزيارة فى <٢-١٢-٢٠١٧>.

(10) Holding a Book Bound in Human Skin. Op. Cit.

وحديثا أتاحت شبكة الإنترنت سوقا مختلفة للجلود البشرية خاصة للأثرياء ومُحبى المقتنيات النادرة. إذ إن هناك موقع إلكتروني شهير(١) على شبكة الويب يدعى بيع العديد من المنتجات المصنوعة من الجلد البشري، فبما أن المحفظة تباع لديهم مقابل أربعة عشر ألف دولار؛ إذًا فمن يشتري تلك الأغراض؟ وكيف يوفر الموقع مصدر الجلد؟ وللإجابةً عن هذا التساؤل؛ يقول القائمون على الموقع أنه يخدم عدداً قليلاً من العملاء المميزين، وهو أمر منطقي حيث لا يمكن توفير سوق ضخمة لحافظة بهذا السعر، إنه سوق عملاء يمكن وضعهم على مخطط بياني يلتقى فيه منحنى الثراء الفاره مع الغرابة المفرطة، وطبقًا للأسئلة الشائعة المجابة على الموقع فإن عملائه من بين القلة المحظوظة الذين يمتلكون كل شيء يرغبون به، فإنتاج الأشياء المُجلدة بجلد بشري محدود ويفضلون إبقائه هكذا لأنها الشركة الوحيدة فى العالم التى تقوم بتصنيع هذه الأغراض، وبخصوص مصدر الجلود، يقول القائمون على الموقع أيضا إن المتبرعين يتنازلون عن جلودهم قبل وفاتهم، ويكافئون ورثتهم على هذا بسخاء بعد وفاة المتبرع، ومع هذا لا يتم قبول إلا النوعيات الفُضلى من الجلد البشري! فمن الممكن أن يحاول البعض بيع جلودهم قبل وفاتهم ويواجه ذلك بالرفض لأنهم لم يرطبوا بشرتهم بشكل كاف أثناء حياتهم!. ومن المؤسف حقًا أنه بفضل الطلب المتزايد فإن الموقع غير قادر على أخذ أية طلبات جديدة منذ عام ٢٠١١م(٢).

وعلى صعيد الأعمال الأدبية الأجنبية، وكذا الأفلام السينيمائية والمسلسلات - خاصة المرعب منها- أصبح تجليد الكتب بالجلود البشرية عنصرًا أساسيًا فيها، فقد دفعت ممارسة التجليد باستخدام الجلد البشري الكتاب والمؤلفين إلى تناولها سواء كان تناولاً سرديا روائيا على نحو ما يلاحظ فى كل من: رواية "كلب الصيد" The Hound للأديب لوفكرافت Lovecraft's، وكتاب "عين الرب" The Eye of God لجيمس رولينز James Rollins، أما على شاشات السينيما فقد ظهر كتاب مُجلد بجلد بشري فى مجموعة أفلام "الموت الشرير" the Evil Dead، ومن المسلسلات التليفزيونية هناك حلقة بعنوان "وكأنها عذراء" Like a Virgin تتضمن تعويذة تظهر فى شكل كتاب مُجلدٌ بجلدٍ بشري(٣).

١٠/٢ الاتجاهات اللغوية والموضوعية والزمنية للكتب المجلدة باستخدام جلد البشر:

يتناول هذا المحور ما استطاع الباحث التوصل إليه من بيانات ببليوجرافية للكتب التى المُجلدة بجلد البشر، ويؤكد الباحث هنا أنه ليس بصدد إعداد دراسة ببليوجرافية ببليومترية متكاملة حول تلك الكتب، بل سيُشار إلى توزيعات ثلاثة منها فقط، وهى اللغوي، والموضوعي، والزمني؛ نظرا لقلة أعداد تلك الكتب، وكذا عدم اكتمال البيانات الببليوجرافية لبعضها، فضلاً عن أنها تتطلب دراسة ببليوجرافية متكاملة، لا يتسع مجال الدراسة الحالية إلى القيام بها.

كما آثر الباحث إدراج البيانات الببيلوجرافية التى استطاع التوصل إليها لجميع الكتب التى تم التأكد من أنها مُجلدة بجلد البشر، وكذا التى يُحتمل أن تكون كذلك؛ فقد يتم التيقن منها مستقبلاً؛ لذا سيكون هناك حاجة للتعرف على بياناتها. وتوصل الباحث إلى البيانات الببليوجرافية لتلك الكتب من خلال:

١. البحث فى شبكة الإنترنت بشكل عام من خلال عنوان الكتاب أيا كانت لغته.
٢. الولوج إلى مواقع بعض المكتبات التى تقع تلك الكتب بين مجموعاتها الخاصة أو النادرة.
٣. البحث فى الكتب الإلكترونية المتاحة عبر محرك جوجل Google Books.

وبالفعل أثمر البحث عن التوصل إلى ٢٢ كتاباً، معظمها مكتمل البيانات، وبعضها لم يكن كذلك؛ إذ طُمست بعض البيانات الببليوجرافية نظراً لقدم الكتاب مما أثر بالسلب على النسخة المسحوبة من خلال

(١) يعد موقع <http://www.humanleather.co.uk/faqs.html> الوحيد على مستوى العالم الذى يبيع منتجات بجلود بشرية.
(2) Can you really buy authentic 'human leather' online?. Available at: <https://www.dailydot.com/business/humanleatherskinaccessoriesshop/> cited in: <13-5-2017>.
(3) Anthropodermic Bibliopegy. Op. Cit.

الماسح الضوئي. وبتحليل القائمة البيليوجرافية (ملحق الدراسة، ٢) أمكن توزيع الكتب المجلدة باستخدام الجلد البشري لغوياً وموضوعياً وزمنياً على النحو التالي:

١/١٠/٢ الاتجاهات اللغوية للكتب المجلدة بجلد البشر:

بلغ عدد اللغات التى كتبت بها الكتب المجلدة بجلد البشر خمس لغات، تم توزيعها على الكتب المجلدة بجلد البشر كما هو مبين بالجدول التالي:

جدول (٢) التوزيع اللغوي للكتب المجلدة بجلد البشر

م	لغة الكتاب	العدد	النسبة%
١	الإنجليزية	٩	٣٩,٩
٢	الفرنسية	٧	٣٢
٣	اللاتينية	٤	١٨
٤	الإيطالية	١	٤,٥
٥	الألمانية	١	٤,٥
الإجمالي		**٢٢**	**١٠٠%**

من خلال الجدول السابق يتضح ما يلي:

- احتلت اللغة الإنجليزية المرتبة الأولى بتسعة كتب نسبتهم ٣٩,٩%، ويشير الباحث هنا إلى أن الأصل فى معظم هذه الكتب ليس باللغة الإنجليزية، إذ لعبت الترجمة دوراً محوريا فى ذلك، فقد تم نقلها عن عدد من اللغات خاصة الفرنسية.
- جاءت اللغة الفرنسية فى المرتبة الثانية بسبعة كتب نسبتهم ٣٢% من إجمالى عدد الكتب؛ فكما سبق وأن ذكر الباحث فى ثنايا الدراسة الحالية، أن الثورة الفرنسية أسهمت بعدد كبير من الكتب المجلدة بجلد البشر، هذا بالإضافة إلى إن التجارب السريرية التى قام بها الأطباء والجراحون كان لها أيضا دور بارز فى ذلك.
- أما الكتب باللغة اللاتينية فقد بلغ عددها أربعة كتب بنسبة ١٨,٢%، وأخيراً اللغتين الإيطالية والألمانية بواقع كتاب واحد لكل منهما بنسبة ٤,٥%.

٢/١٠/٢ الاتجاهات الموضوعية للكتب المجلدة بجلد البشر:

بلغت الموضوعات التى شملتها الكتب المجلدة بجلد البشر ستة موضوعات أساسية، وزعت على أعداد الكتب المجلدة بجلد البشر كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (٣) التوزيع الموضوعي للكتب المجلدة بجلد البشر

م	موضوع الكتاب	العدد	النسبة%
١	الطب	١٠	٤٥,٥
٢	الديانات	٤	١٨,٢
٣	القانون	٣	١٣,٦
٤	الشعر	٣	١٣,٧
٥	السياسة	١	٤,٥
٦	اللغة	١	٤,٥
الإجمالي		**٢٢**	**١٠٠%**

وباستقراء الجدول السابق يتضح ما يلى:

- جاءت الكتب المجلدة بجلد البشر فى موضوع الطب فى المرتبة الأولى بنسبة ٤٥,٥%؛ وهذا يؤكد ما عرضه الباحث فى محور سابق من هذه الدراسة حول الدور الذى قام به الأطباء وكذا الجراحون فى تجليد الكتب الطبيه بجلود البشر التى كانت تؤول إليهم من المحاكم لتشريحها.
- جاءت الكتب الدينية فى الترتيب الثانى بنسبة ١٨,٢% فقد كان هناك ارتباطاً وثيقاً بين جسد المتوفى ومتن الكتاب المجلد بجلد بشري؛ إذ اعتُبر فى كثير من الأحيان تخليداً لذكرى المأخوذ منه الجلد.
- احتل كل من موضوعى الشعر، والقانون المرتبتين الثالثة والرابعة بواقع ثلاثة كتب لكل منهما وبنسبة ١٣,٧%، وأخيرا جاء موضوعا السياسة واللغة فى المرتبتين الأخيرتين بنسبة ٤,٥% لكل منهما.

٣/١٠/٢ الاتجاهات الزمنية للكتب المجلدة بجلد البشر:

على امتداد أربعة قرون تقريبا ظلت ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري قائمة، ويوضح الجدول التالى أعداد الكتب المجلدة بجلد البشر موزعة على تلك القرون:

جدول (٤) التوزيع الزمني للكتب المجلدة بجلد البشر

م	القرن	العدد	النسبة%
١	التاسع عشر	١٣	٥٩,١
٢	السابع عشر	٥	٢٢,٧
٣	الثامن عشر	٢	٩,١
٤	السادس عشر	٢	٩,١
الإجمالي		٢٢	%١٠٠

يتضح من الجدول السابق ما يلي:

- احتل القرن التاسع عشر المرتبة الأولى من بين القرون التى شاع فيها استخدام الجلد البشري فى تجليد الكتب وبلغ عدد الكتب فيه ١٣ كتاباً بنسبة ٥٩,١%، ويؤكد هذا ما ذهب إليه الباحث آنفاً، فقد بلغت ذروة تلك الممارسة فى القرن التاسع عشر وبدأت تخفت مع بدايات القرن العشرين.
- وجاء القرن السابع عشر فى المرتبة الثانية بنسبة ٢٢,٧% إذ يمثل مرحل وسيطة بين البداية والإنتشار. تبعه القرنان الثامن عشر والسادس عشر فى المرتبتين الثالثة والرابعة بنسبة ٩,١% لكل منها.

ثالثاً: الخاتمة (النتائج والتوصيات)

١/٣ النتائج:

١/١/٣ فيما يتعلق بالسياقات الدينية والثقافية والقانونية والحقوقية لممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري:

خَضعت الحياة الدينية والفكرية والعلمية أبان العصر الوسيط إلى تحكم الكنيسة، مما حدا بمفكرى عصر النهضة إلي تقليص دورها وساعدهم على ذلك اختراع الطباعة، وفيما يتعلق بالقوانين الوضعية والمحاكم، فقد صدر قانون أوربي جَرم دفن جثث المجرمين المعدومين، فكان على تلك الجثث إما أن تبقى معلقة حيث أعدمت أو أن يتم تشريحها علنا، أو استخدامها فى مشارح كليات الطب؛ وساعد ذلك فى ظهور الأغلفة المصنوعة من الجلد البشري؛ إذ كانت سيلة للتخلص من بقايا عملية التشريح. يضاف إلى ذلك أن

جريمة نبش القبور وسرقتها لم تخضع لمواد قانون حماية قبور الأمريكيين. أما المحاكم فقد ساهمت أبان القرن التاسع عشر فى أحكامها على المجرمين مساهمة كبيرة فى ظهور الكتب المغلفة بجلد البشر، وتمثل ذلك فى الحكم بتشريح جثامينهم، فقد كانت حالات الإعدام المصدر القانوني الوحيد للحصول على الجثث لتشريحها. وأبان الثورة الفرنسية أعلن الثوار حقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩م، هذا الإعلان الذى ليس له قيمة على اعتبار أن الثورة الفرنسية كانت بمثابة المصدر الرئيس للجثث التى استخدمت جلودها فى تجليد الكتب، فكيف يكون إعلان حقوق الإنسان أحد أهداف الثورة، وفى نفس الوقت يستخدم جلود المناوئين للجمهورية بعد قتلهم فى عملية التجليد.

٢/١/٣ فيما يتعلق بالفترة التى بدأت فيها ظاهرة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر، وكذا انحسارها، وأسباب ذلك:

أثبتت الدراسة أن ظاهرة تجليد الكتب باستخدام جلود البشر ظهرت منذ القرن السادس عشر، وتطورت خلال القرنين السابع والثامن عشر، وبلغت ذروتها فى القرن التاسع عشر، واختفت مع بدايات القرن العشرين، فقد أسهمت الطباعة إلى جانب النظرة الشهوانية للمرأة ومحاولة الربط بينها وبين المتن المكتوب من جانب المؤلفين والكتاب؛ فى ظهور هذه الممارسة، يُضاف إلى ذلك محاولة هؤلاء الكتاب كبح جماح النظرة الدينية التى سادت العصر الوسيط وتقليص دور الكنيسة التى سيطرت على المجتمعات الأوربية فى العصر الوسيط. وعلى الجانب الآخر وفيما يخص انحسار الظاهرة فالناظر إلى الفترات المتأخرة من العصر الفيكتوري سيجد نهضة حقيقة فى كافة المجالات سواء كانت تعليمية أو صناعية أو فنية، أو غيرها؛ تلك النهضة التى أحدثت نوعاً من الرقي فى المجتمعات الأوربية وانتقلت بهم من نظرة شهوانية إباحية دونية - للجسد البشري بشكل عام وجسد المرأة بشكل خاص- إلى نظرة أكثر اعتدالاً واتزانا.

٣/١/٣ فيما يتعلق بمصادر الحصول على الجلد البشري، ودوافع استخدامه فى تجليد الكتب:

تعددت مصادر الحصول على الجلد البشري جاء فى مقدمتها مشارح كليات الطب، وكذا الفقراء والمهمشين الذين قضوا نحبهم فى الملاجئ، هذا بالإضافة إلى المحاكم التى كانت تُحول المحكوم عليهم إلى المشرحة، يضاف إلى ذلك سرقة ونبش القبور. أما عن دوافع استخدامه فى تجليد الكتب، فقد تنوعت بين أسباب أخلاقية، وعقوبات لجرائم اختلفت باختلاف سِيَر أصحاب الجلد أنفسهم، فضلا عن رغبة بعض الأفراد فى الاحتفاظ بجلودهم وحمايتها من الفناء، كما جُلدت اعترافات المجرمين جلود المتهمين السابقين لهم، هذا بالإضافة إلى مطالبة البعض تخليد ذكراهم فى صورة كتاب مصنوع من جلودهم كى تُصبح تذكاراً لأحبابهم وعوائلهم، وأُطلق عليهم المتبرعون.

٤/١/٣ فيما يتعلق بدباغة الجلد البشري وتجهيزه لعملية التجليد، وكذا أماكن الدبغ، والدابغون.

تبين من خلال الدراسة التاريخية أن دباغة الجلود البشرية تبدأ بالسلخ ثم الدباغة، التى تُسَمِنُ البشرة وتجعلها ناعمة ومرنة، ثم تُنقع فى محلول مكون من: الشّبّة، وحمض الكبريتيك، ومِلح الطّعام، ثم تُجفف، مع إمكانية التلوين والصبغ بحيث تكون جاهزة للتجليد. أما عن أماكن الدباغة فقد كانت مدينة ميدون الفرنسية إحدى المراكز الأساسية للقيام بذلك، هذا بالإضافة إلى مدينة مونستر الألمانية، وأيضا مستشفى فيلادلفيا العام القديم. وفيما يتعلق بالدابغين يمكن القول بأن رابارلييه هو سيد فن تجليد الكتب الفرنسي، فكتاب "رقصة الموت" أحد أعماله الفنية المتميزة، هذا بالإضافة إلى جون ستوكتون هوج الذى جلد ثلاثة كتب من الخمسة الموجودة فى المكتبة التاريخية الطبية لكلية الأطباء فى فيلادلفيا.

٥/١/٣ فيما يتعلق بدَوْر الأطباء وجامعي الكتب، فى ظهور ممارسة تجليد الكتب باستخدام الجلد البشري.

لقد كان تشريح الجثث للحصول على معلومات طبية ممارسة عادية، إذ فحص الجراحون جثث المجرمين المعدومين، كما دفعوا لنابشي القبور ليجلبوا إليهم الجثث بطريقة غير قانونية، واعتقد الجراحون أن كتبهم الطبية ما هى إلا انعكاس لعلمهم وخبرتهم؛ فتجليد الكتب بجلود الأشخاص الذين خضعوا للتشريح وأسفر تشريحهم عن الاكتشافات الطبية للجراح؛ أضاف عمقًا لطبيعة محتوى النص. كما كانت الثورة الفرنسية مصدرًا حيويًا للجلود البشرية، كما كانت نقطة تحول فى تطور علم الطب نتيجة لوضعهم أسس نظرية التجارب السريرية التى أسهمت فى النظرة الدونية للمرضى وخاصة الفقراء الذين خضعوا لها ومن ثم استخدام جلودهم فى تجليد الكتب. أما هواة جمع الكتب فقد أسهموا على مر العصور فى الحفاظ على الكتب على اختلافها، فلولا الدور المحمود الذى قام به هؤلاء لما اكتُشفت معظم الكتب التى تبين أنها مجلدة بجلد بشري فى العصر الحديث، ففى القرون التى دُبغت فيها الجلود البشرية كانت أفضل المكتبات تعود ملكيتها لهؤلاء الهواة مثل دبليو كليفورد، ووليام إيستون لتوتيت، وكذلك بيرت سميث.

٦/١/٣ فيما يتعلق بجهود العلماء فى التحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر.

دشن أربعة أشخاص من المهتمين بظاهرة تجليد الكتب بجلد البشر موقعاً إلكترونيا عبر شبكة الويب، وأخذوا على عاتقهم مهمة التحقق من الكتب التى يُحتمل أن تكون مُجلدة بجلد البشر، وأطلقوا على مهمتهم "مشروع التجليد بجلود البشر" يشتمل الموقع على إحصائية بالكتب التى يُحتمل أن تكون مجلدةٌ بجلد البشر على مستوى العالم، وهؤلاء الأشخاص هم: ريتشارد هارك، وآنّا دودى، ودانيال كيربي، وميجان روسينبلوم. يضاف إلى ذلك ما قام به السيد جيكوب جوردون أمين مكتبة كلية جونياتا بمدينة هانتينجدون Huntingdon فى ولاية بنسلفانيا بإنشاء قاعدة بيانات تتتبع وتحصر الكتب المجلدة بجلد البشر فى المكتبات وغيرها من المؤسسات على مستوى العالم.

٧/١/٣ فيما يتعلق بطُرق التحقق من كون الكتب المُكتشفة مجلدةُ بجلد بشري أم لا.

تعددت الطرق التى استُخدمت فى التحقق من كون الكتاب مُجلد بجلد بشري أم لا، مثل: الإشارات والنقوش المكتوبة على أغلفتها أو بداخلها، وكذا الفحص البصري، وحديثا استُخدم الحمض النووي، إلى أن ظهرت تقنية أكثر تطورا ودقة وهى تقنية تحليل مطياف الكتلة التى يعود الفضل فى استخدامها إلى دانيال كيربي، الذى دشن هو وبعض رفاقة مشروعا للتحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر، وبالفعل نجحت تلك التقنية فى تحديد الكتب المُجلدة بجلد البشر دون غيرها، وساعده فى ذلك قاعدة البيانات التى صممها جيكوب جوردون.

٨/١/٣ فيما يتعلق بنتائج جهود العلماء والمتخصصين فى التحقق من الكتب المُجلدة بجلد البشر.

تنوعت نتائج جهود العلماء فى التحقق من الكتب المجلدة بجلد البشر، ما بين كتب مشكوك فى تجليدها بجلد البشر، مثل:كتاب "الأعمال الكاملة لجيوفانى بيكو"، وكتب ثبُت أنها غير مجلدة بجلد البشر، مثل: كتاب"أسئلة عملية حول القانون الملكي الأسباني"، وكتب ثَبُت يقيناً تجليدها بجلد البشر، مثل: كتاب مصير الروح. يضاف إلى ذلك وجود بعض المزاعم حول بعض الكتب المقدسة التى جُلدت بجلد بشري مثل: إنجيل فرنسي مكتوب باللغة اللاتينية، بالإضافة إلى كتاب صلوات فرنسي مُجلد خلال الثورة الفرنسية. إلا إن المفاجأة كانت لمصحفٍ فى مكتبة كليفلاند العامة زُعم أنه مغلف فى جلد أمير مسلم عربي بناء على وصيته وهو الشيخ بُشيري بن سالم، وبالبحث حول اسم "بوشيرى بن سالم" تبين أن اسمه الشيخ "بشير بن سالم الحارثي" أحد الشخصيات العمانية البارزة التى شهد لها التاريخ فى مقاومة المستعمر الألماني الغاشم بإفريقيا فى الفترة من (١٨٨٨م-١٨٨٩م)، وبناء على التحقق من شخصية الشيخ استُبعدت فكرة أن هناك مصحفاً فى مكتبة كلفيلاند العامة مُجلد بجلده.

٩/١/٣ فيما يتعلق بالوقائع والقصص الحقيقة للأشخاص الذين استخدمت جلودهم فعليا فى تجليد الكتب.

شملت الدراسة كثيراً من الروايات الحقيقية لأُناس تروى سِيرهم، مصحوبةً بملابسات استخدام جلودهم فى تجليد كتب تضم تلك السير. مثل: جون هوورد، ووليام كوردر، اللذين كان الحب دافعاً لقيامهم بجريمة قتل محبوبتيهما، هذا بالإضافة إلى جورج والتون قاطع الطريق الذى أوصى بتجليد كتاب يروى سيرته الذاتية وكيف قاومه أحد ضحاياه، هذه الضحية التى نجت وأوصى أن يهُدى إليها هذا الكتاب، وهو ما حدث بالفعل. يضاف إلى هؤلاء الأب هنرى جارنييه الذى اتُهم بإخفاء معلومات مهمة فى محاولة الانقلاب على الملك جيمس الأول فى بريطانيا، تلك المؤامرة التى عُرفت بمؤامرة البارود، وتظهر ملامح هنرى على غلاف كتاب يروى جريمته. هذا بالإضافة إلى وليام بيرك الذى تخصص فى قتل الضحايا الابرياء وبيعهم للأطباء، وجُلد كتاب أيضا بجلدة يروى تفاصيل جريمته.

١٠/١/٣ فيما يتعلق بالاستخدامات الأخرى لجلود البشر:

صُنعت أبان الثورة الفرنسية المعاطف والبناطيل القصيرة وكذا الملابس من جلود القتلى الذين ناهضوا قيام الجمهورية، كما أسس لويس الثالث عشر متحفًا لجمع الأشياء الغريبة والنادرة فى القرن السابع عشر، وكان من بينها زوج من النعال مصنوع من جلد بشري تبرع بيه جراح فرنسي، كما قدّم فالمونت دى بومارل تقريرًا حول الجراح الباريسي الشهير "م. سيو" الذى أهدى مجلس الوزراء الفرنسي زوجًا من النعال المصنوعة من جلود البشر، بالاضافة ذلك فإن هيرمان بورهارف الذى شكّل مجموعة من التحف الطبية متضمنة زوجًا من أحذية السيدات ذوات الكعب العالي مصنوعة من الجلد المأخوذ من جلود المجرمين الذين يتم إعدامهم، كما كانت تصنع الأحزمة من جلود البشر اعتقادا بأنها تساعد المرأة عند الولادة، فضلاً عن استُخدم الجلد البشري فى بطاقات الدعاوى وعلب تبغ التذكارية. وعلى صعيد الأعمال الأدبية الأجنبيه، وكذا الأفلام السينيمائية خاصة المرعب منها أصبح تجليد الكتب بالجلود البشرية عنصرًا أساسيًا فيها مثل رواية "كلب الصيد" The Hound للأديب لوفكرافت، كما ظهر كتاب مجلد بجلد بشرى فى مجموعة أفلام "الموت الشرير".

١١/١/٣ فيما يتعلق بالاتجاهات اللغوية والموضوعية والزمنية للكتب المجلدة بجلد البشر:

وزعت الكتب المجلدة بجلد البشر توزيعا لغويا إذ جاءت الإنجليزية فى المرتبة الأولى بتسع كتب بنسبة ٤١%، تبعتها الفرنسية فى المرتبة الثانية بسبع كتب نسبتهم ٣١,٨%، فقد أسهمت بعدد كبير من الكتب المجلدة بجلد البشر، هذا بالإضافة إلى إن التجارب السريرية التى قام بها الأطباء والجراحون كان لها أيضا دور بارز فى ذلك. وفيما يتعلق الاتجاهات الموضوعية فقد جاء الطب فى المرتبة الأولى بنسبة ٤٥,٥%؛ إذ قام الأطباء، وكذا الجراحون بدور محوري فى تجليد الكتب الطبيه بجلود البشر التى كانت تؤول إليهم من المحاكم لتشريحها. وزمنياً فقد احتل القرن التاسع عشر المرتبة الأولى من بين القرون التى شاع فيها استخدام الجلد البشري فى تجليد الكتب وبلغ عدد الكتب فيه ١٣ كتاباً بنسبة ٥٩,١%، إذ بلغت ذروة تلك الممارسة فى القرن التاسع عشر وبدأت تخفت فى بدايات القرن العشرين.

٢/٣ التوصيات:

فى ضوء ما أسفرت عنه الدراسة الحالية من نتائج، فإنه يمكن طرح التوصيات التالية:

١/٢/٣ توصيات موجهة للمكتبات ومؤسسات المعلومات على مستوى العالم العربى:

تزخر المكتبات العربية بالكثير من أمهات الكتب خاصة كتب التراث، وتأتى المكتبات الوطنية فى طليعتها؛ نظرا لدورها فى الحفاظ على الإرث الحضاري العربي، لذا وفى ضوء الدراسة الحالية يوصى الباحث القائمين عليها أن يحذوا حذو المكتبات العريقة على مستوى العالم نحو التحقق من إمكانية وجود كتب مُجلدة بجلد بشري فى مجموعاتها، أو على اقل تقدير تلك التى قد تكون مجلدة بجلود نادرة غير مألوفه، ولا سبيل لذلك إلا بالتعاون مع من لديهم خبرة ودراية فى التعامل والتحقق من أغلفة الكتب النادرة بما فيها الكتب المجلدة بجلد البشر على مستوى العالم؛ عسى أن تظهر تلك الكتب المجلدة بمواد نادرة أو غير مألوفة فى مكتباتنا العربية.

٢/٢/٣ توصيات موجهة لعلماء المسلمين:

تشكيل لجنة علمية عربية إسلامية ممثلة لكل من الأزهر الشريف والحرمين المكي والمدني؛ للتحقق من مزاعم الغرب حول وجود نسخة من القرآن الكريم مغلفة بجلد بشري لأمير وشيخ عربي يُدعى بشير بن سالم الحارثي فى مكتبة كليفيلاند العامة، دحضاً للافتراءات، أو تأكيداً للشكوك، ومن ثم تفسير ذلك بإصدار بيان بموقف الإسلام من هذه القضية.

٣/٢/٣ توصيات للباحثين فى حقل المكتبات والمعلومات:

وجب على الباحثين فى حقل المكتبات والمعلومات أن يسبروا غور التاريخ والبحث عن الموضوعات التاريخية الأصيلة التى تؤرخ لحقب شهدت ظهور الكثير من القضايا الغريبة، كأن يتم دراسة الكتب النادرة بالمكتبات العربية، وكذا المكتبات الأجنبيه ومن ثم عقد مقارانات شاملة بينهما. هذا بالإضافة إلى دراسة تاريخية لهواة جمع الكتب ودورهم فى الحفاظ على المقتنيات النادرة والغريبة. كما يمكن القيام بدراسة حالة لمتحف ماتر بفلاديلفيا إذ يضم الكثير من المقتنيات النادرة التى تحتاج إلى دراسة فى كيفية التنظيم والعرض، وغيرها.

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع:

خامساً: ملاحق الدراسة

١/٥ ملحق رقم (١)

فريق مشروع تجليد الكتب باستخدام جلود البشر

Anna Dody

Daniel Kirby

Megan Rosenbloom

Richard Hark

٢/٥ ملحق رقم (٢)

قائمة ببليوجرافية بالكتب المجلدة بجلد البشر

١. كتاب حسم الانسان. 1. Vesalius, Andreae. De humani corporis fabrica.- Venetiis: Apud Franciscum Franciscium Senensem, & Ioannem Criegher Germanum, M D LXVIII,[1568].- [12], 510, [46]p. (last page blank) : ill. (woodcuts) ; 32cm.
٢. تساؤلات عملية حول القانون الملكي الاسباني. 2. Gutiérrez, Juan. Practicarum Quaestionum Circa Leges Regias Hispaniae.- Madriti : excudebat Ludouicus Sanchez, 1598..- 478 p.; Fol.
٣. أسرار التجارب المختلفة للمرأة مع الأمراض. 3. Bourgeois, Louise. Recueil des secrets: auquel sont contenues ses plus rares experiences pour diverses maladies, principalement des femmes, avec leurs embelissement.- Paris: Mondiere, 1601.143P.
٤. علامات طهارة ودناسة العذارى. 4. Pineau, Séverin. De Integritatis et Corruptionis Virginum Notis.- Lugduni-Batavorum: Apud Franciscum Hegerum, 1641.- 182, [2], 298, [40] p., 4 folding leaves of plates, 2 folding tables : ill. ; 13 cm. (12mo).
٥. الأخبار المكتشفة حول جميع أجزاء جسم الرجل والمرأة 5. Barles, Louis, 17th cent: Les nouvelles dbecouvertes sur toutes les parties principales de l'homme, et de la femme. : Ensemble leur composition, connexion, action, & usages Lyon, : Esprit Vitalis, 1680.- 2 pts. in 1 v. : front. (port.), plates; 16 cm.
٦. مفهوم الخصومة 6. Drelincourt, Charles: De conceptione adversaria: disce, homo, de tenui constructus pulvere, quae te edidit in lucem conditione Deus. Lugdunum Batavorum : Boutesteyn, 1686.- [8], 74 p. : por.
٧. الموسوعة السياسية 7. Tyrrell, James. Bibliotheca politica.- London: printed for R. Baldwin in Warwick-Lane, 1694.
٨. قاموس صامويل جونسون 8. Johnson, Samuel. A Dictionary of the English Language.- London, 1755.- 1104 p.
٩. التكهنات حول ظهور التخصيب عند الإناث 9. Couper, Robert : Speculations on the mode and appearances of impregnation in the human female. Edinburgh, 1789.- 149 p.
١٠. كتاب رقصة الموت (طبعة ١٨١٦) 10. Hans, Holbien. **The dance of death.**- London: Printed for J. Coxhead, Holywell-Street, Strand, 1816. (London: Printed by M. M'Millan, Bow Street, Covent Garden.).- [2], 70 p., [33] leaves of plates : ill., (engravings), ports. ; 23 cm.
١١. كتاب حقوق الإنسان. 11. Paine, Thomas. The Rights of Man.- London, W.T. Sherwin, 1817.- 118 P.
١٢. الأعمال الكاملة لجون ميلتون. 12. Milton, John. The poetical works of John Milton.- London: William Pickering, 1852.- 3 V. Front (port), 17 cm.
١٣. دراسة أولية حول تشريح جسم الإنسان. 13. Leidy, Joseph. An elementary treatise on human anatomy.- Philadelphia : J. B. Lippincott, 1861, c1860.- xxiv, 663 p. : ill. ; 24 cm.
١٤. الأعمال الشعرية لروجرز وكامبل وجاى مونتغومرى ولامب وكيرك وايت.

14. The Poetical Works of Rogers, Campbell, J. Montogomery, Lamb and Kirke White.- Philadelphia: J. Grigg, 1863.-496 P.

١٥. أطروحة عن الأمراض الجلدية.
15. Fouquet, Albert. Ueber Hautkrankheiten und constitutionelle Syphilis, mit besonderer Berücksichtigung ihrer Behandlung im Bade Creuznach.- Creuznach, Voigtländer, 1865.- 138 p.

١٦. قصيدة مجازية مخصصة لمونسنيور ومدام دى لورين.
16. Brun, Tant. Le Traicté de peyne : poëme allégorique dédié à monseigneur et à madame de Lorraynne : manuscrit inédit du XVIe siècle.- Paris : Librairie Rouquette ..., 1867 [i.e. 1868].- 51, [1] p. ; 17 cm.

١٧. كتاب مصير الروح.
18. Houssaye, Arsène. Des destinées de l'ame.- Nouvelle édition.- Paris, Calmann Lévy, éditeur, 3, rue Auber, 3 [188-].- 3 p, 315, [1] p. ; 17 cm.

١٨. قائمة العلوم الطبية" للمكتبة الدولية.
18. Bibliothèque Nationale . Catalogue des Sciences.- Firmin Didot frères, fils et cie, 1889.- 304P.

١٩. كتاب الآنسة جيرو زوجتى!
19. Belot, Adolphe. Mademoiselle Giraud, my wife: translated by A.D.- Chicago, Ill.: Laird & Lee, 1891.- 394 p. : ill. ; 24 cm.

٢٠. كتاب علم الطب.
20. La chronique médicale, revue de médecine scientifique, littéraire et anécdotique.- Paris, Rédaction & administration,1894.-385 P.

٢١. كتاب رقصة الموت (طبعة 1898)
21. Hans, Holbien. The dance of death with an introductory note by Austin Dobson.- London : George Bell and Sons, York Street, Covent Garden, and New York, Mdcccxcviii [1898] ([London] : Chiswick Press:--C. Whittingham and Co. Tooks Court, Chancery Lane, London.).- 43, [105] p. : 49 ill., 1 facsim ; 13 cm

٢٢. دراسة في التشريح
22. Testut, L. Léo.- Traité d'anatomie humaine.- Paris: Dion, 1899.- 1015 P.